# أرسين لوبين

## اشقف الميت

٣٠ مليما

# الفصل الأول

## صوت من القبر

استيقظ ( جون ستوك ) من رقاده الهنيء على جرس التليفون يرن رنينا متصلا فى تمام الساعة الثانية صباحا . وإذا كان هذا الصوت قد ضايقه وأسخطه وهو يعلم أن قليلين يعرفون رقم تليفونه فى ( محلة الصيد ) التى يغشاها فى فصول معينة فى السنة على شاطىء جزيرة ( ماين ) ، فانه لم يتمالك أن زايل فراشه صاخبا وقصد إلى التليفون فى البهو وتناول السماعة قائلا فى استياء وحنق : من المتكلم ! ؟

وتلقى الجواب من عاملة التليفون التى أنبأته فى رقة وعذوبة أن ( نيويورك ) تطلبه .. وإن هى إلا هنيهة حتى تغير الصوت ، وقيل له أن الحديث صادر من ( فندق ليكونفيلد ) .. ثم تحدث المتكلم أخيراً ، فاذا هو يقول له فى صوت ضخم المقاطع :

ـــ لعل موسم الصيد ناجح حافل فى الجزيرة .

فضاعف هذا السؤال سخط المحامى الشيخ حتى أجاب مخاطبه فى هياج وعنف :

ـــ ما رأيت أسمج من هذا ! ! . ما معنى إزعاجى من نومى بعد منتصف الليل لمجرد سؤالى عن صيد الاسماك ؟ ! .

فسمع محدثه يضحك ، وإذا هو يجيبه فى صوت مختلف عن صوته الأول :

ـــ ويحك ياجون ! . أمن الأدب ان تخاطب بهذه اللهجة صديقا



قديما لك حين يبدى اهتمامه بهواياتك التافهة ونزواتك الصبيانية السخيفة ! ؟ .

والواقع أن ( جون ستوك ) لم يكد يسمع هذا الصوت حتى أعتراه تبدل غريب . فقد هتف مروعا منزعجا وهو الذى كان يفاخر بقوة الأعصاب وتمام الهدوء والجلد . وتخاذلت ساقاه فجأة حتى لم يتمالك أن تهالك جالسا فى مقعد قريب .

ذلك أنه ألفى نفسه ينصت إلى صوت رجل هو عدوه الألد وغريمه الفاتك . رجل كان هذا المحامى الكهل يعلم علم اليقين أنه ثاو فى لحده مستقر فى قبره منذ سنوات ثلاث .

واسترسل المتكلم الخفى فى حديثه :

ـــ يخيل إلى أنك هتفت خوفا وانزعاجا ! . أم لعله سرورك إذ علمت أنى لست فى عداد الأموات ! ؟ .

فقال ( جون ستوك ) فى نبرات متبلدة :

ـــ أنى سرت فى جنازتك وشهدت دفنك ! . وقد اشتركت قبل ذلك فى التعرف على جثتك فى تحقيق البوليس مع غيرى ممن اشتركوا فيه ! . وما أرى إلا أن هذا مزاح ثقيل من شخص يقلد صوتك بقصد تخويفى وترويعى ! .

ـــ إذن فهو هتاف الخوف الذى سمعته الآن منك ما فى ذلك شك ! إنك لتحسن صنعا حين تخافنى وتخشانى يا جون ، فانى عازم على القضاء عليك وتطهير الدنيا منك حالما أقضى على صهرك ( اليوت فالكون ) ! .

لم يحاول (جون ستوك) جديدا للتشكيك فى شخصية المتحدث إليه . فهو (ريتشارد أندروز جراى) ما فى هذا ريب ولا مراء ، أو بالأحرى هو هذا الجبار الباطش الخارق الذكاء الذى حاول من قبل أن يقضى على ابن عمه (اليوت فالكون) ، بل هو الرجل الذى أفلت من جدران السجن لإتمام جريمته فى عمد وإصرار ، وهو الرجل الذى لم يكن جون ستوك يخشى أحدا فى الدنيا مثلما يخشاه .. وقد حسب ستوك حين اشترك فى التعرف على جثة هذا الرجل وهى محطمة مشوهة تحت عجلات السيارة التى دهمتها ان عهد الخوف من هذا الخصم الجبار قد ولى وانقضى إلى حيث لا عود ولا رجعة . بل ظن هو وظن (اليوت فالكون) انهما قد تخلصا إلى الأبد من شر قريبهما وامنا كيده ومكره ..

فسرعان ما تقوضت هذه الأحلام العراض فى طرفة عين .. وإذا جون ستوك يناجى نفسه بهذه الكلمات فى غمغمة مسموعة :

— لا شك انى كنت من الحالمين ! . إنى رأيت جثتك تحترق رمادا ورحت احمد الله على هذه النهاية !!

— يسرنى انك آمنت بأنى انا الذى احدثك وقد خفت أن تحسبنى عفريتا من الجن او شيطانا متجسداً .

— وماذا تريد الآن منى ؟

— انا رجل شريف فى اساليبى ، حتى فى مسائل القتل ! وإنه ليحلو لى ان انذرك بأن الوقت قد حان لتنفيذ وعيدى ، وإنى لأرجو



أن يكون عذابك مضاعفا إذا أتيح لك أن تتوقع منذ الآن ما سوف يحل بك .. فاعلم إذن أنك لن تأمن بعد هذه اللحظة على حياتك وعلى سلامتك .. إنى سأبدأ بقتل صهرك (اليوت فالكون) .. حتى إذا ووريت جثته التراب بالابهة والفخامة اللائقتين بشخصه ، جاء دورك من بعده على الاثر .

فلم يتمالك جون ستوك أن بذل جهدا جهيدا لنبذ أسباب الخوف والاضطراب وقد أخجله ان يكون هذا حاله إزاء رجل لايراه ، فقال له :

— ثق أنه لايمكنك تخويفى ياريتشارد ..

— إذن فلم أسمع صوتك يرتجف ؟ إنك خائف ما فى ذلك شك ، وأنا لم أعهد فيك من قبل الشجاعة والبطولة ، وطبيعى أن يتعلق شخص نابه مشهور مثل (اليوت فالكون) بالحياة ويتشبث بأهدابها حين يرى الموت يهدده .. أما أنت فما يدفعك إلى التمسك بها ؟ أنت رجل مجرد من زوجة تندبه وولد يبكيه .. وما أنت إلا شيخ أعزب أنانى ، لن يفتقده إنسان ولن يستوحش أحد غيابه من المجتمع ..

فأثار هذا الكلام ثائرة السخط فى نفس ستوك حتى ذهب يقول لمهدده فى هياج وغضب :

— إنك لشيطان خبيث وشقى لئيم ! وإذا توهمت أنى سأضعف أمامك فانك إذن لمخدوع ! لقد أرسلناك إلى السجن قبل الآن ، وإننا

لقادرون على ردك إليه ، ولتثق أننا لن ندخر سعيا ولا مالا فى اقتناصك وقص أجنحتك !

فأجاب صاحبه فى صوت يفيض تهكما وسخرية :

— لكن ( اليوت ) لن يصدقك ولن يؤمن بكلامك .. ولن تقول له أنى تحدثت إليك تليفونيا بعد منتصف الليل ، أنا الذى شهد ( اليوت ) وفاتى وإحراق جثتى ، حتى يتهمك فى عقلك ويعدك فى زمرة المجانين ! ولئن أخبرت البوليس لما ظنوك الا مخبولا مختل الشعور !

والآن .. ان كانت لديك أسئلة أخرى فألقها قبل أن أختتم هذه المحادثة التى ستكلفنى مالا كثيراً . . .

فلما سمع ستوك ذكر المال خطر له خاطر فجائى قد يكون فيه حل المشكلة . فهو يعلم أن ريتشارد كان مبذرا متلافا ، وقد يكون الآن فى أمس الحاجة الى المال وخصوصا بعد أن حيل بينه وبين التصرف فى أمواله .

وكان ستوك من ناحية أخرى رجلا موفور الثراء عريض الغنى ، ولذا قال لصاحبه فى هدوء وتمالك :

— مهلا ياريتشارد . إن كنت فى حاجة الى مال ففى امكاننا أن نزودك منه بما يكفيك اذا أقمت فى الخارج وامسكت عن مضايقتنا .. أنت فى مقتبل العمر والحياة امامك مديدة تستمتع بها ما شاء لك الهوى ، ولك أن تتصل بى فى مكتبى بنيويورك متى عدت اليه ، وأعدك ألا ابلغ البوليس عنك واعمل على اعتقالك أو مطاردتك ..



فضحك ريتشارد ضحكة عريضة قائلا :

— ما أشد غفلتك اذ تحسبنى اسعى طائعا الى شرك كهذا !

فقال ستوك :

— إنى أقسم لك على صدق ماأقول ..

فقاطعه ريشارد قائلا فى تبرم :

— دع عنك هذا الهذر . . أتحسب ان ( اليوت ) النابه الشريف يقبل المفاوضة مع سجين هارب ؟ . ألا فاعلم انى ميسور الحال، عامر الجيب . . وما انا بحاجة إلى مالك ولا الى مال ( اليوت ) .والمعروف انك تمتلك نحو ثلاثة ملايين من الدولارات وان ( اليوت ) يمتلك نحو عشرة ملايين . . فاذا كدستما هذه الثروة امامى ثمنا لأنقاذ حياتكما لما قابلتكما إلا بالضحك والاستهزاء ..

— إنى لا أراك إلا مجنونا فاقد الرشاد ! .

— ربما كنت على حق فى نعتك إياى بالجنون ياجون .. إنى طالعت كثيراً من الكتب فى مسائل العقل ، ويخيل إلى أنى مصاب بأسمى الوان الجنون وهو ( جنون العظمة ) على حد مايقولون ! .. والواقع أنى خير منك ومن ( اليوت ) فى كل شىء ، بل انا اعز مكانة واسمى نفسا وأرفع تفكيراً وأرجح عقلا ! . .

والآن كفى هذا القدر . . إلى اللقاء . . ولن أكون وحدى حين ترانى .

— أخائف أنت منى ؟.

— كلا البتة ياعزيزى جون .. سيكون معى صديق يطل عليك
من فوق منكبى .. واسمه (عزرائيل) !

* * *

وضع جون ستوك السماعة .. وجلس حينا واجما جامداً لا يحير قولا ولا عملا .. حتى إذا شعر بالبرودة تتمشى فى أطرافه دس فى نار المدفأة بعض الكتل الخشبية وجلس فى مكانه يستمد من الحرارة مايقوم نفسه المتهافتة ومايشدد عزمه المضعضع حتى مطلع الفجر .

لقد سمع حكم الاعدام يتردد فى سمعه دون أن يرى أمامه من الموت مهربا ولاعاصما .. وإنه ليعلم قبل غيره من هو (ريتشارد أندروزجراى) ذلك الرجل الصارم الجبار القاسى الذى ركز كل نشاطه فى سبيل تحقيق هذه الغاية دون أن تأخذه هوادة ولارحمة ..

ذلك وهو عاجز عن التماس مايدفع به هذا الخطر الداهم عن شخصه وعن المخلوقين الذين لايحب فى الدنيا سواهما : شقيقته (سيلفيا فالكون) وزوجها (اليوت) .. فانهما رغم هذه المحبة الكبيرة التى يختصهما بها لايترددان فى نعته بالجنون حين يزعم لهما أنه قد تحدث إلى مخلوق هو فى عداد الأموات ، وقد شهد بموته ابن عمه (اليوت) الذى نشأ وربى معه منذ الطفولة ، كما شهد بذلك طبيب العائلة وجون ستوك أيضا !

وظل ستوك طيلة نهاره حائراً مضطرباً لايدرى كيف يدفع الخطر عن نفسه وعن ذويه ، ومن من الناس يشاوره فى هذه الضائقة دون أن يرتاب فى عقله ويتهمه فى رشده ؟!



حتى إذا كان العصر وقد جلس يتطلع إلى البحيرة إذ رأى قاربا أبيض يمخر عباب الماء قرب الشاطىء فدعا وصيفه (تامبر) وأمره باحضار منظاره المكبر قائلا :

— من هذا الذى فى القارب الأبيض ؟ . إنى أريد أن أطمئن .

فنظر (تامبر) مليا ، فمالبث أن عرف فى راكب القارب شخصية كان يعجب بها أشد الاعجاب .

وقد أجاب (تامبر) فى إنفعال رداً على سؤال سيده :

— هو مستر مارتن ديل (أرسين لوبين) .. وقد سمعت أنه سيجيء للصيد فى محلته ، ولكننى لم أكن أعلم أنه وصل فعلا .

ومضى الوصيف لشأنه وهو يعجب من إهتمام سيده بالنظر والتحديق إلى شخص كان يعلم أنه ينفر منه ولايستريح إليه .

والواقع أن نفور جون ستوك من مارتن ديل يرجع إلى أعوام ثلاثة ماضية حين جاء ديل إلى الجزيرة ونافس ستوك فى شراء (محلة الصيد) القائمة قرب الشاطىء وظفر بها دونه وقد كان ستوك يطمع أن تكون له ..

بل كان جون ستوك يحمل على مارتن ديل ويستصغر شأنه حين علم أنه مولع بالكشف عن القضايا الجنائية الغامضة وهو لايقيم لهذه الأمور وزنا ولايعدها إلا من قبيل الصغائر والصبيانيات ..

فكيف به الآن وقد دارت الدائرة ووقع فى هذا الخطر الذى قد لايكون منه مخرج إلا بالالتجاء إلى مساعدة هذا المغامر الهاوى الذى

كان يزدريه ويستصغر شأنه ؟ . . وماذا يكون من أمر مارتن ديل حين يراه يبادره الآن بالخضوع وحين يذهب يلتمس مشورته وعونه؟ ألا يزيد كبرياء وتعاظما وشموخا ويشتط فيما سوف يقتضيه من أجر لقاء هذه الخدمات ؟ . .

لم يشك جون ستوك فى ذلك . . لكن هذا لم يمنعه أن يدوس على كافة الإعتبارات ، وأن يعمل على الإتصال تليفونياً بجاره فى ( محلة الصيد ) ، وقد بادره قائلا :

— مستر ديل . . أود أن أستشيرك فى مسألة خطيرة . . وإذا لم يكن بوسعك الحضور .. وأنا لا ألومك إذا لم تحضر حقاً ، فهل يمكن أن أذهب اليك فى محلتك .. إنى فى الواقع أريد أن أسألك معروفا ..

والحق أن مارتن ديل دهش من هذه اللهجة التى سمعها من محدثه . فقد كان يعلم أن جون ستوك رجل من ذوى المكانة فى الأوساط الإجتماعية الراقية ، وهو بهذا الوصف أبعد الناس عن الإلتجاء فى حديثه إلى أسلوب الإبتهال والاستعطاف ، بل إلى لهجة الخوف والإنزعاج التى سمعها الآن منه .

ومهما يكن ، فان مارتن ديل أجابه قائلا :

— بل يحسن أن تجىء إلى . . سأرسل اليك خادمى ( جيلز ) فى الساعة الثامنة .

— أنا مدين لك بأعمق الشكر يامستر ديل .

— لا موجب للشكر .. فانى الآن فى أجازة ، ولا أعتقد أننى على استعداد لبحث قضيتك أو أية قضية أخرى .



— لكن هذه المسألة على جانب عظيم من الأهمية والخطورة .

فلم يتمالك مارتن ديل أن ابتسم وقد طالما سمع هذا النعت يطلق على أغلب المشاكل اليسيرة . وأجاب محدثه قائلا :

— لن أبخل عليك بالرأى والمشورة وإن كنت لا أعتقد أنى سأتولى درس القضية . فانه لا يغرينى بالخروج من عزلتى إلا حادث خارق حقاً .

فقال له جون ستوك :

— هذه هى القضية التى ستقنعك بأن من كانت له مواهبك العظيمة لا يركن إلى العزلة إطلاقا ! .

## الفصل الثانى

### عناصر القضية

استقبل مارتن ديل زائره باسما ودعاه إلى الجلوس قائلا :

— إذن فأنت تحسب هذه القضية من الخطورة بما تتضاءل بجانبه سائر المشكلات والقضايا ! . أصارحك بأنى طالما سمعت هذا الوصف من غيرك ، وكانت النتيجة لا تعدو غالباً حد التجسيم والمبالغة . لعل أحداً هددك بشىء . .

فأجاب جون ستوك وقد أشفق من ظواهر الاستخفاف التى طالعته فى حديث مضيفه .

— إننى مهدد بالموت . .

فلم يزد مارتن عن قوله فى هدوء وبساطة : هلا حدثتنى بما وقع .

فقال المحامى الشيخ فى لهفة : وهل تتولى القضية إذا حدثتك .

— أنا لا أعد بشىء . فانى لا أتولى إلا القضايا الشاذة الخارجة عن دائرة المألوف . وقبل أن تبدأ فى حديثك أحب أن أصحح خطأ شائعاً . فانى لا أتولى قضاياى مأجوراً . وإنما أفعل ما أفعل للذة البحث والإستقصاء .

— هذه أريحية منك .

وكان مارتن ديل يعلم طرفا من سيرة جون ستوك قبل أن يأخذ هذا فى سرد قصته . وكان يعلم أن لهذا المحامى شقيقة صغرى تزوجت من (اليوت فالكون) المالى السابق وبطل لعبة (البولو) الأشهر الذى أوفده رئيس الولايات المتحدة فى بعثة ودية إلى جمهوريات أمريكا الجنوبية فكان لديها خير مبعوث وأكرم سفير . كما كان يعلم أن (اليوت فالكون) يمتلك قصراً منيفاً وضيعة كبيرة فى ولاية (نيوجرسى) لعلها أضخم ما اقتناه سراة الأمريكيين .

ومهما يكن فان ستوك أنشأ يسرد قصته قائلا :

— فى الساعة الثانية من صباح اليوم استيقظت من نومى على نداء تليفونى صادر من فندق (ليكونفيلد) فى نيويورك . فاذا الذى يحدثنى رجل هو فى عداد الأموات منذ ثلاث سنين .

— لعلك تعنى أن الذى حدثك رجل كنت تحسبه فى عداد الأموات منذ ثلاث سنين ، فان هذا الوصف أقرب إلى المعقول .

— هذا ما قصدت يامستر ديل . لكنى توهمت وما زلت فى تلك الساعة تحت تأثير النوم أن الذى يحدثنى هو رجل من الأموات حقاً .

— ومن هو ؟



— هو (ريتشارد اندروز جراى) ، ابن عم (اليوت فالكون) وكنت أعرفه تمام المعرفة منذ نعومة أظفاره ، ولم أكن أطمئن اليه حقاً لما كنت أتوسم من خبث طويته وفساد طبعه .

وقد تعرفنا على جثته منذ ثلاثة أعوام حين دهمته سيارة تقل ذات ليلة فى طريق (بوسطون) وما كان محتملا أن يداخلنا الخطأ فى هذا فقد وجدنا خاتمه المنقوش باسمه الذى لم يكن يفارق قط خنصر يسراه وشاهدنا به جرحاً قديما معروفا فى جسده وألفينا إسمه مخيطاً فى سترته ووجدنا فى جيوبه جواز سفره وأوراقه الخاصة ومعها رسالة معنونة إلى (اليوت) لم يكن أصدرها بعد . وكانت الجثة فى طوله ولها معالمه وبنيته ولون بشرته . وأنا بطبعى أنفر من شهود الجنازات ، ولكنى تنفست الصعداء حين شهدت هذه الجنازة ، ورأيت جثته تذهب طعمة للنيران .

— إذن فقد احرقت جثته ؟ . . ولم ؟ . .

— طبقاً لرغبته التى عبر عنها فيما ترك من اوراق .

فقال مارتن ديل : ياللبراعة ! . . فانه لا يتيسر بعد ذلك استخراج الجثة من مدفنها وعرضها على أنظار الاخصائيين ! . . . قص على كل ما تعرفه عن (جراى) هذا .

فقال ستوك : إن (جراى) نشأ فى رعاية (ادموند فالكون) والد (اليوت) وتحت وصايته ... وقد شب وترعرع مع ابن عمه (اليوت) فى ربوع قصر الأسرة المعروف باسم (فالكونهرست) ، وتخرج معه فى معاهد علمية واحدة ، وإن كان تفوق اليوت فى (مضمار) الألعاب

الرياضية بحكم تكوينه الجسدى الكامل قد أثار فى نفس ( جراى ) حفيظة كانت أول الأمر مستترة كامنة .

وقد اضطلع (اليوت) بأعمال والده المالية بعد وفاته . أما(ريتشارد) فقد استأثر بثروته الخاصة التى أصبحت رهن تصرفه بعد زوال الوصاية عنه ، وانتقل إلى باريس حيث بدد ثروته بين الميسر والنساء اللائى كان له حظوة عندهن لوسامته وصباحته .

وعاد ريتشارد من فرنسا وهو أقرب إلى الإفلاس منه إلى شىء آخر . فبدا لإبن عمه ( اليوت ) أن يصلح حاله ما استطاع ، فعهد اليه بادارة مزارع الأسرة فى ولاية ( نيوانجلند ) نظير مرتب كبير ، وكان ريتشارد من ناحية قد ندم على ماضيه أو أظهر الندم ، وأراد أن يطلق حياة اللهو والعبث وأن يهجر المدن الكبيرة الصاخبة واخوان السوء والفساد . أو هو على الأقل راح يحاول إيهام (اليوت) بصدقه وإخلاصه .

— أو لم يكن صادقا مخلصاً ؟ .

— الحق يامستر ديل أن ريتشارد لم يعرف معنى الصدق والاخلاص فى حياته ، ولم يكن يؤمن إلا بتفوقه الشخصى ولا يضمر إلا العزم الراسخ على التضحية بكل إنسان وكل شىء فى سبيل تحقيق هذ التفوق .. وقد علم ( اليوت ) من محام مغبور أفقره ريتشارد فى عالم الميسر أن ريتشارد لجأ أعواما كثيرة إلى النصب وتبديد الأموال وأنه كان يستر نصبه وتبديده بالتزوير فى الحسابات التى يشرف عليها . ورغم ذلك فقد كان ( اليوت ) على استعداد للتغاضى عن هذا ، لولا



أن هذا النصب امتد إلى أشخاص آخرين غير ( اليوت ) ، ومن ثم أبلغ الأمر إلى القضاء .

ومهما يكن فان الحكم الشديد الذى ناله ( ريتشارد ) كان مرجعه إلى مسلكه إزاء المحكمة أكثر منه إلى جرائمه المالية . فانه أهان القاضى واستهزأ بالمحلفين . وقد بدأ فى المحكمة وكأنما فقد كل عقل واتزان . فقد أقسم أن يفلت من السجن وأن يقتل ( اليوت ) ثم يقتلنى .

والواقع أنه لم يحنث بقسمه . فانه لم يكد يفر من السجن حتى تربص لأليوت ذات ليلة وضربه بآلة حادة على رأسه وكان ينوى قتله لولا أن ( سيلفيا ) سمعت صوت سقوط زوجها وهرعت لنجدته . ومع ذلك فقد تكتم ( اليوت ) هذا الحادث وزعم للناس أن أثر الجرح هو نتيجة سقطة وهو يلعب (البولو) حين كان فى انجلترا .

— أو لم يحاول ( اليوت ) اقتناص ( ريتشارد ) وتقليم أظفاره .

— إنه فعل كل شىء ممكن فى هذا الصدد . وقد قمت بنصيبى معه أيضا . لكن ريتشارد اختفى عن العيان ولم نسمع به إلى حين أبلغنا ذات يوم منذ ثلاثة أعوام أن جثته وجدت ملقاة فى طريق (بوسطون)

— إن إثبات شخصيته بواسطة بصمات الأصابع كان يمكن أن يقطع كل شك فى حقيقته ، وهو مجرم سابق . فهل أفهم من هذا أن البوليس تهاون فى هذه المسألة ولديه سوابقه ؟

فقال ستوك : أن عجلات السيارة قد مرت فوق يديه فهشمتها

حتى اختلط العظم باللحم ، واستحال على البوليس أن يجد بصمات يحققها .

فقال مارتن ديل :

— والأسنان . أن فيها دليلا مبينا .

— أن وجهه قد شوه تشويها منكرا حتى لم تبق فيه معالم . وكل ما استطاع الاخصائيون قوله هو أن أسنانه كانت في حالة سليمة حين مصرعه . وقد وجدوا به جرحا من أثر عضة كلب كان يعذبه في حياته .

ولم يتمالك ستوك أن راح يتطلع إلى مارتن ديل مندهلا . فقد الفاه قد زال عنه ضجره ولاحت عليه علائم الاهتمام المتزايد ولمعت عيناه لمعانا ، وقال له :

— أني بدأت أعجب بصاحبك ريتشارد اندروز جراى هذا . فهو يحسب لكل شيء حسابا .. ولكن أخبرني . ما الذى حمله على أن ينتظر ثلاثة أعوام بعد فراره من السجن قبل أن يعود إلى الظهور .

— إن هذا ما يحيرني حقا .

— إنه كرس هذه المدة للبحث عن شخص يماثله طولا وبنية ولونا حتى لا يرتاب أحد في أن الجثة ليست جثته . ثم كان عليه أيضا أن يتحرى في ضالته سلامة الأسنان وهذا شيء نادر في الرجال بعد الخمسين . ألم يكن يناهز هذه السن ؟



— أنه يبلغ الثامنة والأربعين بعد شهر . لكن ما قولك في الجرح القديم

— هذا شيء سهل يسير . فان ريتشارد أحدث جرحا مشابها في ضحيته .. وقد كان يمكن لاخصائيين تحديد عمر الجرح ، بيد أن أحدا لم يفكر في لزوم شيء كهذا لانتفاء أسباب الشك .. وبهذه المناسبة ، هل أسفر تشريح الجثة عن وجود مخدر ؟

فلم يتمالك ستوك أن أجاب قائلا :

— ما أغرب هذا السؤال ! .. نعم . فقد قيل ان ريتشارد تناول بعض العقاقير المنومة علاجا للأرق ، إذ وجدت آثار مخدر في الجثة .

فلاحت سيماء الظفر على محيا مارتن ديل وقال :

— المسألة سهلة يسيرة فان ريتشارد اهتدى إلى الرجل الذى يماثله ، وبادله ملابسه ، ثم سرق او استأجر او استعار سيارة نقل ودس للرجل مخدرا ومدده على الأرض ، ثم مر بالسيارة متمهلا متئدا فوق يديه ، وعاد فمر بها على وجهه . . هل تعرف شيئا عن سيارة النقل ؟

— إن البوليس حقق هذه النقطة . فتبين له أن سائق السيارة دعى إلى تناول الشراب مع رجل غريب لا يعرفه وغاب عن صوابه . ولما عاد إلى وعيه ألفى السيارة في مكانها الأول ولكنه وجد آثار دماء على عجلاتها . وقد بدا للبوليس أن الرجل يكذب وكاد أن

يعتقله لولا أنه لم يجد عنده أدلة كافية ، هذا إلى أن ( اليوت ) عالج القضية بما أسدل عليها الستار .

فقال مارتن ديل :

— يبدو لى يا مستر ستوك أنك مستهدف لخطر كبير كالذى تصورته .

ونهض وأردف قائلا :

— إنى أستأذنك برهة ريثما أرى خادمى جيلز فى مسألة معينة .

والحق أن ستوك قد خامره الابتهاج إلى حد ما . فقد ألفى مارتن ديل آمن بقصته ورجا أن يكون هذا فاتحة لاضطلاعه بتحقيق القضية ، وخصوصا بعد أن سمعه يدلى بما أدلى من استنتاجات عجيبة حقا عن ريتشارد .

ولم يغب مارتن ديل عن الغرفة أكثر من خمس دقائق ، فلما عاد كان يبتسم . وما لبث أن جلس بجانب المدفأة وأشعل غليونه قائلا :

— أواثق أنت أن الذى حدثك بالتليفون هو ( جراى ) ؟

— كل الثقة .

— وما الذى يحملك على الاعتقاد بأنه خاطبك من فندق ( ليكونفيلد ) ؟

— إنى سمعت صوت عاملة تليفون تردد اسم ( فندق ليكونفيلد ) مرة واثنتين . وأعقب ذلك فترة سكون ثم سمعت ريتشارد يتحدث إلى . وقبيل ختام المحادثة قرر لى ريتشارد أنها ستكلفه كثيرا لطول ما استغرقت من الزمن .



فقال مارتن ديل :

— إن هذه المحادثة التليفونية لم تصدر من نيويورك ، فانى قد تحدثت الآن إلى عاملة التليفون المحلية التى بدأت نوبتها عند منتصف الليل ، فانتهيت إلى النتيجة التى ذكرتها لك .

فاعترض جون ستوك قائلا :

— إنى أتكلم بما سمعته أذناى ! .

— وأنت قد سمعت ما أراد غيرك أن تسمعه ، وهو شيء آخر .. أنى تحريت هذه المحادثة التليفونية فوجدتها لم تصدر من مدينة كبيرة وإنما صدرت من بيت قائم فى هذه الجزيرة ، هو محلة ( اديسون ) التى لايتعذر عن هنا أكثر من ميلين .. لاتنزعج ، ولكن عليك أن تعلم أن ريتشارد جراى كان على قيد أميال قليلة منك ، وربما كان مايزال هناك .

استولى الغم والانقباض على المحامى الشيخ ، ولم يستبعد أن يلجأ ريتشارد إلى هذه الحيلة فى مخادعته وهو بارع فى تقليد الأصوات لايتعذر عليه أن يقلد أصوات الفتيات ، وقال لصاحبه :

— ربما كنت على صواب .

فقال مارتن ديل فى تبرم :

— بل أنا على صواب .. وكان ينبغى أن تتتبع مصدر هذه المحادثة بنفسك لتعرف وجه الحقيقة فيها ، ومهما يكن فان الخطر جاثم حولك وقد ينقض عليك ريتشارد بين ساعة وأخرى . وما قوله لك إنه سيبدأ بالقضاء على ( اليوت ) أولا ثم يثنى بك إلا من قبيل الخداع حتى تهمل

فى الحذر والحيطة فيأخذك على غرة .

— وما العمل إذن ؟

— يحسن أن تذهب معى إلى محلة أديسون .. أنى قابلته منذ يوم فوجدته مرافقا وصيفته إلى دار ابنتها قبل أن يذهب مع زوجته إلى حفلة زفاف فى ( بروكلين ) . وقد ذهبوا جميعا فى السيارة وكذلك تركوا المحلة خالية ، فهل كان ريتشارد يعلم كل هذا ؟

— إن ريتشارد كان يعرف أديسون وزوجته معرفة وثيقة . وقد أقام فى دارهما حينا من الزمن عقب عودته من باريس وقبل أن يتولى إدارة مزارع ( اليوت ) ، لكنه كان رجلا فاجرا لا يبقى على عهد ولا يرعى حرمة .. فقد سعى إلى اغواء زوجة أديسون ، وكانت النتيجة أن أديسون طرده من بيته شر طردة ..

واستدرك ستوك قائلا :

— أتظن أن ريتشارد مختبىء الآن فى محله اديسون ؟

— لا اظن .. فهو يدرك انك ستتبع مصدر المحادثة التليفونية ، ومن ثم يهجرها ، لكنه قد يكون بها .

فقال ستوك وقد انتابه الخوف من عدوه :

— ربما كان فى ذهابنا خطر داهم ، فهو رجل شديد القوة موفور النشاط بارع الرماية .

— لا مفر من معالجة كافة الأسباب والوسائط ، فى وسعك أن تبقى هنا إذا آثرت هذا .. وسأترك معك مسدسا لحمايتك .



— ان البقاء مرهق لأعصابى .. فربما كان لى بالمرصاد .. حتى إذا انصرفت عنى داهمنى وقضى على .. كلا .. سأذهب معك .

وهكذا استقل مارتن ديل قاربه الأبيض ومعه جون ستوك وخادمه جيلز وقد اشتاقت نفسه للمغامرات ، ووجد فى شخص ( ريتشارد جراى ) المجرم الجبار الذى يلذ له أن يصاوله ويقارعه.

وما كاد القارب يدنو من الشاطىء على مقربة من مزرعة أديسون حتى همس ستوك فى اذن مارتن ديل قائلا :

— إذا كان ريتشارد مختبأ فى مزرعة أديسون فاننا ونحن كذلك نكون تحت رحمته ..

— لاتخف .. فلن نهاجمه من أمام ونطلب اليه التسليم .. أن هذه الأمور مألوفة عندى .. انى لا أعتقد أننا واجدوه فى المزرعة .. فهناك مسائل هامة تشغله فى نيويورك .

— وكيف ذلك ؟ ..

— إذا صحت البيانات التى أدليت بها الى فانه سيذهب إلى الميناء فى انتظار عودة صهرك ( اليوت ) من انجلترا .. ذلك لأنه واجد فى غمار الهرج الذى يقترن بوصوله البواخر الكبرى إلى الميناء كافة الفرص التى تتيح له تحقيق اغراضه الآثمة .

— ان كلامك لايبعث على الطمأنينة .

— ليس فى نيتى أن أكون مطمئنا .. فان الخطر كل الخطر فى الطمأنينة ونبذ أسباب الحذر .

وتسلل ثلاثتهم إلى دار اديسون من باب خلفى عالجة مارتن ديل ببراعته المعهودة وهو الذى تنفتح أمامه الأبواب فى غير استعصاء ولا عناء وكأنما هو ساحر قدير . ثم انعطف إلى البهو فى سكون وخفة فألفاه خاويا .. ولم يجد أحدا فى سائر الغرف التى طرقها على الأثر .

حتى إذا بلغ المطبخ إذا هو مشوش وبه صحاف ملوثة وبقايا طعام وقهوة .

وفجأة هتف ستوك قائلا :

— ان ريتشارد كان هنا ياديل ! .. فهذه عين الرسالة التى يتركها مثله ! ..

فتناول مارتن ديل الرسالة المكتوبة على الآلة التى كان مثبتا بها ورقة مالية من فئة خمسة ريالات ، وإذا هى موجهة إلى اديسون وزوجته بالنص التالى :

« اليكم أجرة النوم والأكل .. فأما الفراش فغير وثير ، وأما الطعام فغير سائغ .. وفى وسعى أن أؤكد لكم أن (الكونياك) لم يشهد مدينة (شارنت) رغم البطاقة الملفقة المزورة الملصقة على الزجاجة .. ولو وجدت عندكم سجلا للزيارات لوقعت باسمى .. أما ولم أجده ، فسأبقى ضيفا ساخطا » .

فقال مارتن ديل :

— ياله من شخصية لطيفة !

— وماذا أفعل الآن وقد ذهب ؟



— تعود معى إلى نيويورك بالطائرة غدا .. وسنترك (جيلز) يزيل آثار الوليمة الاجبارية ويسوى كل شىء فانه لا فائدة من ترك أديسون يعلم بما كان .. فهو قد يستدعى البوليس ويثير ضجة لا موجب لها ..

وانتقل مارتن ديل مع ستوك إلى البهو يتحدثان فى تفاصيل رحلتهما المزمعة إلى نيويورك تاركين (جيلز) يقوم بمهمته ويطوى الورقة فى جيبه .

وقال مارتن ديل لصاحبه :

— إنى سأطارد صاحبك ريتشارد لاقتناصه . فهلا حدثتنى قبل كل شىء عن أوصافه ؟ .

فأجاب ستوك :

— إنه يناهز فى طوله خمسة أقدام وخمس بوصات . وهو قوى البنية. مفتول العود. موفور النشاط . جم الحركة . وهو عسلى العينين ثاقب النظرات . وهو أسود الشعر متموجه .

— لا ريب أن هذه الأوصاف قابلة للتبديل والتغيير . وإذا صح ما حدثتنى به عنه فأغلب الظن أنه قد اصطنع لنفسه هيئة جديدة وتنكر فى إهاب آخر .

— وكيف تطمع أن تعثر عليه فى غمار الملايين من سكان نيويورك ؟

— لن نبحث عنه جهاراً ، ولكننا سنكون عن كثب من الطعم اعنى (اليوت) . هناك شىء واحد يقلقنى . فربما علم أنك جئت لاستشارتى . ومهما يكن ، فنحن لا نجزم بأنه ذهب بعيداً عن الجزيرة

فلم يتمالك جون ستوك حين سمع هذا النذير أن أخذته رعدة . لقد خال نفسه بنجوة من كل خطر ! .

## الفصل الثالث

### فالكونهرست

وقف مارتن ديل يراقب ( اليوت فالكون ) وهو يهبط من سلم الباخرة ، فألفاه بادى المهابة حقا . تستهوى العين مرآه .

فهو طويل القامة،فارع العود ، أشقر البشرة ، ذو محيا أنيق بديع التكوين .

ولم يجد مارتن ديل عناء فى التعرف على مدام فالكون أيضا لكثرة ما رأى صورتها فى الصحف ، وكانت هيفاء القد سمراء اللون نحيلة رشيقة تفيض ابتساماً وإشراقا وسناء .

ووقف جون ستوك فى عداد المستقبلين تلوح عليه أمارات القلق وراح يتطلع حواليه بين فينة وأخرى وكأنما كان يتوقع أن يرى غريمه ينقض من حيث لا يحتسب .

ولم يكن مارتن ديل يقل عن جون ستوك اهتماما بالتلفت والبحث فيما حول مكان الاستقبال على رصيف الميناء ، بيد أنه لم يصادف احداً يمت بأواصر المشابهة لشخص ريتشارد أندروزجراى .

وعلى حين غرة ، وقع مالم يكن يدور فى حسبان مارتن ديل ، حتى حسب أن نهاية ( اليوت فالكون ) قد دنت حقا .

فقد كان فالكون موليا ظهره إلى صف من الصناديق المكدسة



بعضها فوق بعض على الرصيف ، وإذا نقالة صغيرة من ذوات المحركات تصطدم بالصناديق ،فيهوى صندوق منها ،فكاد يسحق فالكون تحته . لولا أن وثب من بين الواقفين رجل زرى الهيئة ،رث الثياب ، فدفع فالكون عن طريق الصندوق الهاوى دفعة أنقذت حياته ، غير مبال بما كان يمكن أن يصيبه هو من جراء هذه المحاولة .

بيد أن فالكون لم ينج كل النجاة . فقد أصابه جانب من الصندوق فى قدمه اليمنى أصابه احتملها فى صبر وجلد لكيلا تنزعج زوجته ، وانثنى إلى سيارته يدلف إليها وهو يعرج فى مشيته .

وتخلف جون ستوك عن صاحبيه ووقف بعد انصراف سيارتهما يفكر فى هذا الحادث ويكاد يرى فيه أصبع ريتشارد وتدبيره الشيطانى وقد عجب من غياب مارتن ديل وهو لم يبصره فيما حوله .

وبينما هو يهم بالانصراف إذ وقع نظره على رجل زرى الهيئة، رث الثياب ذى خطاف حديدى مدلى من عنقه شأن العاملين على رصيف الميناء ، فتقدم إليه ستوك فى مودة كبيرة وقال له :

— إنى أود أن أشكرك كثيراً لما أظهرت من سرعة وشجاعة أيمكن أن أقدم إليك شيئا يسيراً ؟ .

فأجاب الرجل فى بساطة :

— شكرا يا سيدى .. أنا لا أمانع فى قبول ماتجود به ، ولكنى لم أفعل ما فعلت طلبا لمكافأة ، أن هذا السيد المسكين كاد يسحق سحقا تحت الصندوق لولا أنى أبعدته عن طريقه ، لكن ياسيدى ..

هذه ورقة من فئة الخمسين !؟ .

— بل هي قليلة بالنسبة إلى ما تستحق .

واستقل ستوك سيارة قصدت به إلى المدينة .

* * *

وقصد مارتن ديل إلى جون ستوك في مسكنه الفخم في (بارك افنيو) فوجده مضطربا ، كثير الجزع ، إذ قال لزائره :

— أن اليوت أصيب بجروح بالغة ، فقد كسرت ثلاث أصابع في قدمه .

فقال مارتن ديل :

— ليس في هذا ما يدهشني ، فقد رأيته إذ ذاك ممتقع الوجه .

— أني لم أراك على الرصيف ! .

— لقد وقفت بمعزل لعلي أجد أثراً لريتشارد .

— في اعتقادي أن الرجل الذي كان يقود تلك النقالة هو ريتشارد ذاته ، فقد كان الحادث أقرب إلى العمد والتدبير .

فقال مارتن ديل :

— كلا . إني تحدثت إلى الرجل ، فوجدته يجهل حتى أنه فعل شيئا . ولم يكن جديدا عليه أن يصطدم بالصناديق المكدسة في مثل ذلك المكان المكتظ .. وقد عرفت اسمه ومحل إقامته ، ورأيته أسود العينين، غير صحيح الأسنان، يبلغ طوله خمسة اقدام وعشر بوصات ، وهي جميعا تخالف أوصاف ريتشارد .



وقال ستوك حين ناوله مارتن ديل ورقة مالية من ذات الخمسين ريالا : ما هذه ؟

— لقد قلت لي حين أعطيتنيها ، إنها قليلة بالنسبة إلى ما أستحق .

— إذن فقد كنت أنت ذلك العامل الزرى الهيئة، الرث الثياب !؟ ولكن كيف فعلت هذا ؟

— أن ريتشارد ليس وحده البارع في التنكر والاستخفاء .

— لكني رأيتك مهدل الفم ، مصفر الأسنان !

— هذه أشياء سهلة يسيرة .

— أنك أنقذت حياة (اليوت) ، وأن امتناني لك لايبلغه حصر .

فتجاهل مارتن ديل هذا الثناء قائلا :

— أهو في المستشفى ؟

— لقد أبلغتني سيلفيا أنه يأبى الذهاب إلى المستشفى .

— ألم يعلم بموضوع ريتشارد بعد .

— لاأدري ، فاني لم أجد فرصة لمحادثته على انفراد . ولذلك كتبت تقريراً بموضوع المحادثة التليفونية وأسلمته إلى سيلفيا لكي تقدمه اليه . ومهما يكن فأنا الآن في انتظار حديث تليفوني من سيلفيا أقف به على ماتم . .

وإذ تم هذا الحديث التليفوني بين ستوك وشقيقته رأى مارتن ديل في ملامح صاحبه مادله على سوء الأنباء التي تلقاها ، إذ قال ستوك في نهاية الحديث :

— انا قادم حالا . سأذهب فى سيارة صديقى مستر مارتن ديل . إلى الملتقى ياعزيزتى . فسأله مارتن ديل :

— أهى أنباء سيئة ؟

— نعم . فقد بتر له الجراحون أصبعين من قدمه وهم ينهون عن زيارته إلا لزوجته . وهى لم تقرأ له التقرير الذى كتبته . فما أنكد هذا حقاً .. إنهما لايقدران مدى الخطر الماحق الذى يهددهما ، وقد يكون فى تهاونهما عن إتخاذ الحيطة مايتيح الفرصة التى يترقبها ريتشارد .

— فى إعتقادى أنه سيقدر انك حذرت فالكون ، ولن يكون من البلاهة بحيث يتعجل العمل . إن سيارتى تنتظر . هلم بنا .

وقصدت بهما السيارة إلى ( فالكونهرست ) فى ضواحى نيويورك ، فاذا هو قصر منيف ، رحب الجنبات ، رائع الأثاث والرياش . وما كاد مارتن ديل يستقر فى البهو الداخلى حتى استأذنه جون ستوك للإطمئنان على حالة صهره وتركه يتناول المرطبات واعدا بالعودة بعد قليل .

وبعد نصف ساعة دعى مارتن ديل إلى التحدث فى التليفون ، فاذا جون ستوك يقول له فى صوت ينم عن شدة الإنفعال .

— يؤسفنى أنى حجزتك كل هذه المدة . لكنى لم أفرغ بعد .

— لا تتعجل . إن المقام هنا طيب . هل أخبرتها ؟ .

فأجاب ستوك فى صوت هو أقرب إلى العويل : نعم . . لكنها لم تصدق قصتى ، وقالت إنها واثقة أن اليوت لن يصدقها . وهو قد استيقظ الآن وسأجتمع به لحظة ، لكنى وعدت ألا أقول له شيئاً يزعجه .



واقبلت سيلفيا بعد قليل ترحب بضيفها فى حفاوة كريمة وتعرب عن سرورها بهذه الفرصة الثمينة التى تهىء لها الإنتفاع بمساعدة مارتن ديل . حتى إذا تبسط معها فى الحديث الفاها تنكر قصة شقيقها جون ستوك وتستبعد وجود ريتشارد على قيد الحياة ، فلم يشأ ، تأدبا منه ، أن يمضى معها فى نقاش لاجدوى فيه وقال لها :

— لقد قلت انك أردت الإنتفاع بمساعدتى لكم . فان لم تكن هذه المساعدة لدفع شر ريتشارد فاين تكون المساعدة إذن ؟ .

— انى أشكر لك ما تبدى من رحابة الصدر والتسامح . لكنى سأحدثك ببساطة فى شأن المساعدة التى أطمع فيها عندك . فهناك بلدة صغيرة قريبة من ( فالكونهرست ) تدعى ( ادجفيل ) كان والد زوجى قد أنشأها على عهده بالحياة لمساعدته فيما كان يشرع فيه من شئون الزراعة والغابات والصيد . وفى هذه البلدة أناس كثيرون يضمرون لنا العداوة والبغض ويتربصون بنا الدوائر .

— هذا كلام غريب . فقد أخبرنى شقيقك فى سياق أحاديثه أن المرحوم ادموند فالكون والد زوجك كان دائما براً بأجرائه محسناً اليهم .

— لكن ماقلته لك صحيح . ألم يوص الإنسان بأن « يتقى شر من أحسن اليه » ؟ . إن أهل البلدة ظلوا أعواماً مديدة يعولون فى عيشهم علينا . فهناك مثلا ( كانز ) القصاب الذى جعل يمدنا باللحوم الرديئة ويتقاضى الأثمان المضاعفة مما جعلنا نعامل غيره فى بلدة ( انجلوود ) ..

وما قيل عن هذا يقال أيضا عن ( برانيجان ) تاجر الخردوات ، وعن غيره من الباعة والتجار ..

— وكذلك نقم أهل البلدة منكم وحقدوا عليكم .. هكذا طباع الناس.

— ثم هناك الأخوان ( داليس ) .. وهما مخلوقان غريبان خطران يترنمان بأناشيد الحقد علينا أيضاً ، وإن كان يقيمان مع أمهما فى أرض وهبهم أياها والد زوجى .. وهناك أيضاً آل ( سوانسون ) وهم غير أصدقاء لنا .. ولهم على الناس تأثير عظيم .

— أتقصدين بهذا الكلام أنك تخافين من عدوان يقع على زوجك .

— آه .. لا .. فان ( اليوت ) قادر كل القدرة على الدفاع عن نفسه ولايخاف أحداً . ولما حدثته عن أسباب قلقى من ناحية (ادجفيل) وأهلها ضحك من مخاوفى وقال إن الأمركله لايخرج عن حيز الكلام .

— إذن فما الذى يزعجك يامدام فالكون ؟

فتلفتت حولها كأنما تشفق من استراق السمع ، وأجابت :

— إن (اليوت) شديد التعلق بهذا القصر إلى أقصى الحدود ، ولا يقل أبنائى عن والدهم فى هذا المقام . وقد جمعنا به من نفائس التحف كل ما قتنيناه فى أسفارنا . وكل رجائى يامستر ديل الا تفضى بكلامى هذا إلى أحد ، حتى ولا إلى جون شقيقى . بل انى اخفيه حتى عن زوجى والواقع انه قد وقعت ثلاث محاولات لإحراقه وتدميره ، ولولا يقظة ( انجرام ) المشرف على حدائق القصر ومبادرته فى كل مرة لإخماد النار لأفلح المعتدون فى أغراضهم الآثمة . ومع انه لم يعرف من منهم



الفاعل إلا انه واثق من بعض مايسمعه من الأحاديث حين يختلف إلى لعب (الكريكيت) فى نادى (سوانسون) أن المعتدين هم من أهل البلدة.

— من رأيى ان الواجب يقضى فى مثل هذه الحال بالمبادرة إلى إبلاغ البوليس .

— إن ( انجرام ) ضد هذا الرأى لأنه لادليل لدينا على ادانة أحد بعينه . ولذلك فقد اكتفى ببث الحراس حول القصر ريثما يتحرى ويستقصى .

فقال مارتن ديل :

— وكيف يمكن ان اساعدكم فى هذا الشأن ؟

فأجابت فى لهجة ادنى إلى الاعتذار :

— إنى اعلم انه كثير ان اطلب ماسأطلب إلى رجل مشغول مثلك ، ولكن إذا مااستطعت الذهاب متنكراً إلى ( ادجفيل ) فقد تصل الى معلومات فاصلة عن المدعو ( شاموسى كالاهان ) .

فقال مارتن ديل باسما :

— هذه شخصية جديدة فى المأساة . ومن هو شاموسى هذا ؟

— هو ابن خالة الأخوين ( داليس ) . وقد وفد من ( ارلنده ) منذ شهور قلائل وعمل هنا حينا ولكن ( انجرام ) طرده لما بدا له من كسله وتهاونه .. وقد علم ( انجرام )انه شخص فوضوى وكثيرا مافاخر وهو تحت تأثير السكر ببراعته فى إضرام الحرائق ، وانه احرق قصور كثيرة من الأغنياء والناوئين للجمهورية فى ( أرلنده ) .. وان

كان هذا الكلام قد لا يعدو حد المباهاة والتفاخر طبعا ..

فقال مارتن ديل باسما : هذه مسألة جديرة بالتحرى .. ولو قال أحد منذ ساعة فقط أنى سأذهب غدا إلى بلدة ( ادجفيل ) للتحرى عن شخص يدعى ( شاموسى كالاهان ) لرميته بالهذيان .. !

— إذن فستذهب يامستر ديل ؟ .. ما أكرمك حقا ! .

لكن مارتن ديل لم يكن مهما باستقصاء أمر ( شاموسى كالاهان فقد بدا له أن ( أدجفيل ) هى أقرب المدن إلى ( فالكونهرست ) وق يكون لريتشارد أعوان فيها .. وخطر له أن يستقر حينا فى هذ البلدة وأن يبتاع لنفسه سيارة عادية لاتلفت الأنظار .. ولسوف تحسب مدام فالكون يستقصى أمر شاموسى الفوضوى بينما هو يرمى ف الواقع إلى أغراض أخطر شأنا .

وقال مارتن ديل آخر الأمر : أنى بدأت أشاطرك الرأى ف الأهتمام بهذه البلدة وأهليها .

فقالت : أن بها أفرادا طيبين منهم الدكتور ( فورس ) الواعظ والاب ( كنبالى ) .. لكنهما لايمثلان البلدة .. وسترى بها تيارات خفية واتجاهات خبيثة ، وستسمع كل شىء فى عش الفضائح ومطبخ الاشاعات المعروف باسم ( الاكتاجون ) .

— ماهو هذا ، وأين هو ؟!

— هو دكان حلاق البلدة الذى يمتلكه رجل يدعى ( جيبارد ) وكان فيما مضى وصيفا عند المرحوم ادموند فالكون .. وحتى الرج



غير موال لنا فيما سمعت من ( الجرام ) . ها هو ذا ( جون ) قادم . فأرجو ان تبقى هذا الحديث سرا بيننا .

واقبل جون ستوك يعتذر لضيفه عن تأخيره .. وبعد مجاملات يسيرة انصرف مارتن ديل من القصر مقلا ستوك فى سيارته التى امر فرجت به على بلدة ( ادجفيل ) لكى يلقى نظرة عليها ويلم بمعالمها بمساعدة ستوك .

## الفصل الرابع

### المؤلف الخائب

دخل مارتن ديل بلدة ( ادجفيل ) فى سيارة عتيقة . وزى يضاهيها رثاثة وقدما . وقد حمل معه حقيبة بالية نقش عليها الحرفان الأولان من الإسم الجديد الذى اتخذه لنفسه بخط واضح .

وانحدر من السيارة غير بعيد عن ( الاكتاجون ) الذى وصفته مدام فالكون بأنه عش الفضائح ومطبخ الاشاعات ، آملا ان يوفق إلى مكان قريب من هذا المكان حتى يختلف اليه حينا بعد حين لكى يستمع إلى مايدور فيه من احاديث قد تعينه فى مهمته التى اضطلع بها .

وفيما هو واقف ينظر حواليه مترددا وقع نظره على بيت قريب من طابقين وقد جلس فى مدخله رجل قصير . نحيل . كثير تجاعيد الوجه . فى نحو الخمسين من عمره . وإلى جانبه خوان معدنى مستدير فوقه كأس كبيرة كان يشرب منها وما كاد ينظر اليه حتى وضع الكأس بيد راعشة وبادره فى لهجة مرحة قائلا :

— اسمع ياصاحبى ! . إن كنت انت الرجل الذى جاء لطلاء سيارتى فقد جئت متأخراً ! إن رجال مصلحة الضرائب اخذوها بالأمس واراحونى منها .

تطلع مارتن ديل إلى الرجل فاذا عيناه الزرقاوان تفيضان مرحا ووجهه يشف عن الدهاء والنجابة وبدا له انه واجد فيه معيناً فياضاً يستقى منه مايشاء من المعلومات عن البلدة واهليها ولذا قبل دعوته اياه للجلوس وان اعتذر عن الشرب معه . فقال الرجل :

كان هذا الكلام قد لا يعدو حد المباهاة والتفاخر طبعا ..

فقال مارتن ديل باسما : هذه مسألة جديرة بالتحرى .. ولو قا
أحد منذ ساعة فقط أنى سأذهب غدا إلى بلدة ( ادجفيل ) للتحرى
عن شخص يدعى ( شاموسى كالاهان )لرميته بالهذيان :. !

— إذن فستذهب يامستر ديل ؟ .. ما أكرمك حقا ! .

لكن مارتن ديل لم يكن مهتما باستقصاء أمر ( شاموسى كالاهان
فقد بدا له أن ( أدجفيل ) هى أقرب المدن إلى ( فالكونهرست ) وقد
يكون لريتشارد أعوان فيها .. وخطر له أن يستقر حينا فى هذ
البلدة وأن يبتاع لنفسه سيارة عادية لاتلفت الأنظار .. ولسوف تحس
مدام فالكون يستقصى أمر شاموسى الفوضوى بينما هو يرمى ف
الواقع إلى أغراض أخطر شأنا .

وقال مارتن ديل آخر الأمر : انى بدأت أشاطرك الرأى ف
الأهتمام بهذه البلدة وأهلها .

فقالت : أن بها أفرادا طيبين منهم الدكتور ( فورس ) الواعظ
والاب ( كنبالى ) .. لكنهما لايمثلان البلدة .. وسترى بها تيارات
خفية واتجاهات خبيثة ، وستسمع كل شىء فى عش الفضائح ومطبخ
الاشاعات المعروف باسم ( الاكتاجون ) .

— ماهو هذا ، وأين هو ؟!

— هو دكان حلاق البلدة الذى يمتلكه رجل يدعى ( جيبارد )
وكان فيما مضى وصيفا عند المرحوم ادموند فالكون .. وحتى الرج



غير موال لنا فيما سمعت من ( انجرام ) . ها هو ذا ( جون ) قادم . فأرجو ان تبقى هذا الحديث سرا بيننا .

واقبل جون ستوك يعتذر لضيفه عن تأخيره .. وبعد مجاملات يسيرة انصرف مارتن ديل من القصر فقاده ستوك فى سيارته التى اسرعت به على بلدة (ادجفيل) لكى يلقى نظرة عليها ويلم بمعالمها بمساعدة ستوك .

## الفصل الرابع

### المؤلف الخائب

دخل مارتن ديل بلدة ( ادجفيل ) فى سيارة عتيقة . وزى يضاهيها رثاثة وقدما . وقد حمل معه حقيبة بالية نقش عليها الحرفان الأولان من الإسم الجديد الذى اتخذه لنفسه بخط واضح .

وانحدر من السيارة غير بعيد عن (الاكتاجون) الذى وصفته مدام فالكون بأنه عش الفضائح ومطبخ الاشاعات ، آملا ان يوفق إلى مسكن قريب من هذا المكان حتى يختلف اليه حينا بعد حين لكى يستمع إلى مايدور فيه من احاديث قد تعينه فى مهمته التى اضطلع بها .

وفيما هو واقف ينظر حواليه مترددا وقع نظره على بيت قريب من طابقين وقد جلس فى مدخله رجل قصير . نحيل . كثير تجاعيد الوجه . فى نحو الخمسين من عمره . وإلى جانبه خوان معدنى مستدير فوقه كأس كبيرة كان يشرب منها وما كاد ينظر اليه حتى وضع الكأس بيد راعشة وبادره فى لهجة مرحة قائلا :

— اسمع ياصاحبى ! . إن كنت انت الرجل الذى جاء لطلاء سيارتى فقد جئت متأخراً ! إن رجال مصلحة الضرائب اخذوها بالأمس واراحونى منها .

تطلع مارتن ديل إلى الرجل فاذا عيناه الزرقاوان تفيضان مرحا ووجهه يشف عن الدهاء والنجابة وبدا له انه واجد فيه معينا فياضاً يستقى منه مايشاء من المعلومات عن البلدة واهلها ولذا قبل دعوته اياه للجلوس وان اعتذر عن الشرب معه . فقال الرجل :

كان هذا الكلام قد لا يعدو حد المباهاة والتفاخر طبعا ..

فقال مارتن ديل باسما : هذه مسألة جديرة بالتحرى .. ولو قال أحد منذ ساعة فقط أنى سأذهب غدا إلى بلدة ( ادجفيل ) للتحرى عن شخص يدعى ( شاموسى كالاهان )لرميته بالهذيان .. !

— إذن فستذهب يامستر ديل ؟ .. ما أكرمك حقا ! .

لكن مارتن ديل لم يكن مهتما باستقصاء أمر ( شاموسى كالاهان ) فقد بدا له أن ( أدجفيل ) هى أقرب المدن إلى ( فالكونهرست ) وقد يكون لريتشارد أعوان فيها .. وخطر له أن يستقر حينا فى هذه البلدة وأن يبتاع لنفسه سيارة عادية لاتلفت الأنظار .. ولسوف تحسب مدام فالكون يستقصى أمر شاموسى الفوضوى بينما هو يرمى فى الواقع إلى أغراض أخطر شأنا .

وقال مارتن ديل آخر الأمر : انى بدأت أشاطرك الرأى فى الاهتمام بهذه البلدة وأهليها .

فقالت : أن بها أفرادا طيبين منهم الدكتور ( فورس ) الواعظ والاب ( كبالى ) .. لكنهما لا يمثلان البلدة .. وسترى بها تيارات خفية واتجاهات خبيثة ، وستسمع كل شىء فى عش الفضائح ومطبخ الاشاعات المعروف باسم ( الاكتاجون ) .

— ماهو هذا ، وأين هو ؟!

— هو دكان حلاق البلدة الذى يمتلكه رجل يدعى ( جيبارد ) وكان فيما مضى وصيفا عند المرحوم ادموند فالكون .. وحتى الرجل



غير موال لنا فيما سمعت من ( انجرام ) . ها هو ذا ( جون ) قادم . فأرجو ان تبقى هذا الحديث سرا بيننا .

واقبل جون ستوك يعتذر لضيفه عن تأخيره .. وبعد مجاملات يسيرة انصرف مارتن ديل من القصر مقلا ستوك فى سيارته التى امر فعرجت به على بلدة (ادجفيل) لكى يلقى نظرة عليها ويلم بمعالمها بمساعدة ستوك .

## الفصل الرابع

## المؤلف الخائب

دخل مارتن ديل بلدة ( ادجفيل ) فى سيارة عتيقة . وزى يضاهيها رثاثة وقدما . وقد حمل معه حقيبة بالية نقش عليها الحرفان الأولان من الاسم الجديد الذى اتخذه لنفسه بخط واضح .

وانحدر من السيارة غير بعيد عن (الاكتاجون) الذى وصفته مدام فالكون بأنه عش الفضائح ومطبخ الاشاعات ، آملا ان يوفق إلى مسكن قريب من هذا المكان حتى يختلف اليه حينا بعد حين لكى يستمع إلى مايدور فيه من احاديث قد تعينه فى مهمته التى اضطلع بها .

وفيما هو واقف ينظر حواليه مترددا وقع نظره على بيت قريب من طابقين وقد جلس فى مدخله رجل قصير . نحيل . كثير تجاعيد الوجه . فى نحو الخمسين من عمره . وإلى جانبه خوان معدنى مستدير فوقه كأس كبيرة كان يشرب منها وما كاد ينظر اليه حتى وضع الكأس بيد راعشة وبادره فى لهجة مرحة قائلا :

— اسمع ياصاحبى ! . إن كنت انت الرجل الذى جاء لطلاء سيارتى فقد جئت متأخراً ! . إن رجال مصلحة الضرائب اخذوها بالأمس واراحونى منها .

تطلع مارتن ديل إلى الرجل فاذا عيناه الزرقاوان تفيضان مرحا ووجهه يشف عن الدهاء والنجابة وبدا له انه واجد فيه معينا فياضاً يستقى منه مايشاء من المعلومات عن البلدة واهليها ولذا قبل دعوته اياه للجلوس وان اعتذر عن الشرب معه . فقال الرجل :

— بالاخـارة ! . . لـكن انت وشانك ! .. اما انا . (تومى نيكولز) فاشرب حتى يستمر قلبي فى العمل . فأنا كالسيارة.. إن انقطع عنها البنزين كفت عن الحركة ! . ماممنى هذين الحرفين المنقوشين على حقيبتك ؟ . (فكتورانتونى) تشرفنا . والآن . ماهى مهنتك إن كنت لم تجىء لطلاء سيارتى ؟ .

فأجاب مارتن ديل : انا مؤلف قصصى ، وانى ابحث عـن مسكن هادىء لايـكلفنى كثيراً . وقد قيل لى ان الحلاق اهل لأن يمدنى ببعض المعلومات عن البيوت والمساكن .

فقال (تومى نيكولز) : ان الحلاق (جيبارد) لايهتم إلا بالسؤال عن رأسك فوفر على نفسك العناء . لـكن اسمع ياخى . فأنت وانا عبدان لهذا الفن الصعب الذى يسمونه الأدب ! . . والواقع انى كنت فى شبابى احـرر باب الرياضة فى بعض الصحف . والفرق بينى وبينك انى طلقت الآن هـذا الفن . لـكن هذه الصلة الأدبية حببتك إلى . وانى اعرض عليك المقام فى احدى هذه الغرف الأربع فى الطابق العلوى من دارى ، التى اؤجرها لصحفيين لايقيمون عندى إلا فيما بين اغسطس واكتوبر من كل عام .

وكذلك لم يتردد مارتن ديل فى قبول هذا العرض الطيب . واختار اصغر الغرف الأربع حجما إذ وجد لها بابا مستقلا . وما كاد يتفق مع صاحبه على الأجر حتى عاد إلى السيارة لنقل متاعه . فوضع الحقيبة على جانب الرصيف وهم بنقل معطفه وآلته الـكاتبة . وفيما هو كذلك اذ وقع نظره على رجل قصير ، ذى لحية انيقة ، وخطها الشيب ، قادم الى ناحيته ، وكان يضع فوق عينيه نظارات ملونة يتقى بها وهج الشمس ويدير فى يده عصا . وقد جاء مارتن ديل يبحث عن قصار القامة ولـكن قدر ان هذا الرجل لايجاوز طوله خمسة اقدام وبوصتين .

ومهما يكن فقد وقع حادث غريب لم يـكن يتوقعه ديل ، فقد خطا الرجل شطر الحقيبة فى غير انحراف واصطدم بها صدمة القته على الأرض وهو يدمدم خوفا ، ولـما حاول النهوض رآه يبسط ذراعيه حواليه على نحـو مايفعل العميان حين يذهبون يتقون الخطر ، ورأى الدم ينبثق من جرح صغير فوق احدى عينيه



وسرعان ماركض تومى نيكولز الى حيث كان الرجل المصاب وطوقه يساعده فى مودة وعطف وهو يقول فى قلق وانزعاج :

— بيل . . ايها الأخ الحبيب ! لعلك لم تصب بسوء؟؟

وانثنى الى مارتن ديل يقول فى غضب :

— لم وضعت حقيبتك اللعينة هنا فى الطريق ؟ لقد كدت تحطم عنقه ! فيالها من رحمة بالعميان . والواقع ان مارتن ديل تألم اشد الألم ، وذهب يعتذر صادقا عن غلطته التى لم يعملها عامداً ، لأنه لم يقدر ان الرجل اعمى حقاً ، واقترح ان يبادر بالذهاب مع الرجل الى طبيب متكفلا بكافة النفقات ، لولا ان الأعمى قال فى صوت رقيق وهو يتحسس الجرح :

— هو جرح يسير . وقد اصبت بجروح اسوأ منه دون ان اذهب إلى الطبيب . وكنت فى اول عهدى بفقد البصر اسقط سقطات اشد من هذه وانـكى ، وعلى كل حال هى غلطتى إذا كان يجب ان احمل عصاى البيضاء و . . (شارة العميان) .

وقاد تومى نيـكولز الأعمى إلى مدخل الدار واجلسه فى مقعد وهو يتودد إليه ويتلطف به ، واعتذر إلى مارتن ديل عما بدر منه خشونة ، وعرفه بالأعمى قائلا :

— اقدم إليك يافيـكتور الأخ بيل جاتلى موزع البريد السابق فى مدينة (كانساس) ، الذى فقد بصره فى صاعقة بعد خدمة عشرين عاما سار فيها حول الأرض عشر مرات فى طوافه اليومى لتوزيع البريد ، وحمل مليون طن من الرسائل ! وهكذا منح بيل معاشه فانتقل إلى (ويهوكن) للاقامة مع شقيقته الأرملة ، حتى إذا ذهبت إلى جوار ربها جاء للاقامة فى بلدتنا . الآن يابيل ، اقدم إليك مستر فيـكتور انتونى المؤلف القصصى المتخصص فى روايات رعاة البقر .

فشد بيل على يد مارتن ديل بحرارة قائلا :

— تشرفت بمعرفتك يافيـكتور . انا ذاهب الآن . ارجو ان اراك

قريبا . لا تهتم بما حدث لى .

ونهض بيل فذهب من حيث جاء وقد سار هذه المرة فى حذر وبطء مستعينا بعصاه .

وكذلك كان تعارف مارتن ديل بثانى رجل من سكان ( أدجفيل ) .

ورأى مارتن ديل فى صاحبه تومى نيكولز آفتين هما السكر والثرثرة فأنشأ يعالجه بالحديث ويوجهه إلى الغاية التى ينشدها لكى يقف منه على كل مايستطيع من المعلومات دون ان يرتاب الرجل فى شىء .. فأكد له فى الحديث ما سمعه من مدام فالكون عن بغض اهل البلد لهذه الاسرة الارستقراطية التى يرونها تمثل عهد الانقطاع .

وراح يعدد اسماء بعض الغلاة المتطرفين فى تحاملهم على هذه الاسرة فقال ان منهم ( جاكسون ) استاذ الاقتصاد السابق الذى خسر ماله فى المضاربات فلم يجد إلا فالكون المالى الكبير وامثاله من المتحكمين فى الاسواق العالمية يعده مسئولا عن الكارثة التى حلت به . وقال ان منهم ( شاموسى كالاهان ) الفوضوى الذى يفاخر بأضرام الحرائق فى الدور والقصور .

فسأله مارتن ديل :

— وهل يجىء الى هنا المدعو شاموسى ؟

— لا .. فهو يأتمر بأوامر أسرة داليس ، وهم لايحبوننى ، ويقولون عنى كلاما خبيثا ، مع ان امهم هى شر من على الارض خبثا .

— وكيف تعلم بما يقولون عنك ؟

— هذا سهل يسير . فان بيل مقيم عند مدام داليس الأم التى تنفق مايعطيها من اجر فى السكر . ومن ثم فهو ينقل الى كل ماتقوله وما تفعل ، مطمئنا إلى أنى لا احكيه إلى احد . اما انت فانك لاتعرف احدا هنا ، فلاخوف إذن من ناحيتك .

— ولم لاتسكن بيل عندك فى إحدى الغرف التى تؤجرها ؟

— لافائدة من هذا ، لأنه لايستطيع ان يهيء الطعام لنفسه ، وما كان لى



ان اهيئه لاحد . ولو اختار الأخوان داليس لعارضا فى مقام بيل بدار امهما لكنهما لايجسران على عصيانها . وفوق هذا فهم يعلمون ان بيل اعمى ولا يتوقعون ان يرى شيئا .

فأرهف مارتن ديل سمعه وسأل صاحبه :

— وهل يمكنه ان يرى شيئا ؟

فتباطأ تومى فى الجواب ، اذ قال بعد لأى :

— يقال ان الأخوين داليس يولمان ولائم صاخبة كلما جاءا الى دار امهما لقضاء ايام العطلات الاسبوعية .

— وما وجه الشذوذ فى هذا !

— لا اعلم . إنهم يقامرون ويلجأون احيانا إلى استخدام السلاح كما قال بيل مرة . انى انصح لك بالابتعاد عن هؤلاء الناس .

ولم يشأ تومى نيكولز ان يخوض فى الحديث اكثر من هذا القدر فتركه مارتن ديل لشأنه وزعم انه ذاهب إلى البلدة لشراء ورق لآلته الكاتبة ، ولكن غرضه الحقيقى كان الاتصال تليفونيا بجون ستوك لإبلاغه مقره الجديد .

وقد استاء ستوك لأن مارتن ديل لم يخبره سلفا بعزمه وقال له :

— ان اليوت لم تتحسن حالته ، وسليفيا شديدة الانزعاج من اجله . متى يمكن ان اراك !

— إن كنت الآن فى حاجه إلى ذهبت إليك ، لكنى كثير المشاغل هنا . إنهم يعدوننى هنا مؤلفا قصصيا خائبا ، وقد اتيح لى حتى الآن ان اتخذ منهم بعض اصحاب نافعين !

## الفصل الخامس

### المأساة تتكرر

سلخ مارتن ديل يومه التالى يطوف بأرجاء ( ادجفيل ) التى يشاع ان تومى نيكولز اسكن لديه مؤلفا قصصيا ، وكان اهل البلدة يحتقرون الأدباء

والفنانين ولكنهم كانوا يغضون الطرف عنهم ويتسامحون معهم لما يبسطون من ايديهم وينفقون من مالهم فى الشراب وغير الشراب .

حتى إذا فرغ من طوافه وعاد إلى دار تومى نيكولز التى بانتظاره رسالة عاجلة من جون ستوك انبأه فيها برغبته فى الاجتماع به فوراً ، وإن لم يذكر السبب

فزعم مارتن ديل لصاحبه تومى نيكولز ان الرسالة هى من ناشر يريد الاجتماع به فوراً للإتفاق معه على نشر قصة مسلسلة ، وهكذا استقل سيارته وتركها فى مكان امين خارج البلدة واستقل قطار الضواحى إلى مسكنه فى نيويورك حيث ابدل ملابسه ومضى فى سيارته إلى دار جون ستوك .

وقد قال له ستوك حال اجتماعه به :

— إن اليوت يرغب فى رؤيتك . وقد انبأته سيلفيا بالقصة ولكنه لم يشأ ان يصدق منها حرفاً ، ولو لم تصارحه بأنك انت الرجل الذى انقذ حياته على رصيف الميناء لما كان هناك اقل امل فى إجتماعك به ، وهو لايهتم قط بمن لايعرفهم ، بيد انه يشعر بأنه مدين لك بدين كبير ويجب ان يقول لك هذا .

— بديع . . . لنتعش فى أحد المطاعم ثم نذهب إلى القصر .

ولعل مارتن ديل لم يوافق على تلبية الدعوة إلاحين وجد فيها فرصة لابلاغ مدام فالكون ماوقف عليه فى (ادجفيل) .

وبعد تناول العشاء شقت بهما السيارة (ادجفيل) فى طريقها إلى قصر (فالكونهرست)فرأى مارتن ديل فى الطريق ماجعله يخاطب السائق من خلال البوق قائلا :

— حاذر ياهوج،إن هذا الرجل القصير ذا اللحية الذى يهم باجتياز الطريق هو اعمى . فقال ستوك :

— ولم لايحمل العصا البيضاء ؟ .

— هو يفاخر بأنه يعرف كل شبر فى البلدة ، وهو رجل طيب وقد صار من أصدقائى . . وسر إهتمامى به هو أنه يقيم فى بيت آل داليس وقد عزمت على تفتيش منزل عتيم حيث قيل أن الأخوين داليس أنشآ فيها داراً فخمة وأنهما



يدعوان اليها أنصارهما السياسيين . وهناك مايشعرنى بأن آل داليس عنصر هام فى قضيتنا .

فقال ستوك يصحح معلوماته :

— هناك بيتان فى المزرعة ، لابيت واحد وقد عرفت هذا بالرجوع إلى العقد الذى منح به ( ادموندفالكون ) الأرض لداليس الأب حين اراد ان يسترضى اهل البلدة سياسياً .

— حدثنى عن الأخوين داليس وعن سر حقدهما على آل فالكون .

— إن هذا قصة طويلة الخصها لك فى كلمات ، فقد اتخذ داليس الأب ناديا فى املاك ( ادموند فالكون ) واداره للشرب والقصف حتى طار صيته السيء فى البلدة واضطر ادموند إلى إخراج داليس منه واجره لغيره ، فجن جنون الرجل حتى قضى نحبه وهو يدعو على ادموند ويطلب له الموت ، وساءت حالة اسرة داليس من بعده ، لولا ان ادموند اشفق عليها ووهبها المزرعة القائمة بين اشجار الصنوبر .

— قلت ان فى المزرعة بيتين ، فأين ثانيهما؟.

— هو البيت الأصفر القائم عند اقصى المزرعة ، وقد شاده المؤجر السابق وارجح انه اصبح الآن اطلالا . . اما البيت الأكبر الذى تقيم فيه الأسرة فقد جدد واصلح .

— ومن اين يعيش الأخوان داليس ؟ .

— إن الأخ الأكبر ( تيم ) كان يراد ان يكون قسيساً ولكنه خاب وهو بلا عمل ، اما الأصغر ( الوسيوس ) فتخصص فى دراسة الكيمياء ثم طرد من المعهد لما نسب إليه من سرقة بعض ادوات المعمل ، وإن ذهبت الأسرة تشيع إنه اضطر لهجر دراسته على اثر وفاة والده متأثراً بما فعل معه ادموند . ويقال انه اظهر نبوغا وكان ينتظر ان يكون له مستقبل باهر فى هذا الفن .

* * *

وبلغت بهما السيارة ( فالكونهرست ) ، فذهب بهما رئيس الخدم إلى

الطابق العلوى حيث ادخلا على (اليوت فالكون) فى فراشه، فاستقبل المريض مارتن ديل فى مودة وإن كانت دلائل الألم والتأثر باديه عليه، وقال له :

— ليتنى كنت أقوى على القيام لإستقبالك والحفاوة بك، إنى ما كدت أعلم بما أنا مدين لك به حتى طلبت إلى جون أن يجىء بك إلى هنا .

والواقع أن الأسرة كلها مدينة لك بدين لا يسهل وفاؤه، ويسعدنى ان يتاح لى يوما ان ارد اليك بعض هذا المعروف .

فذهب مارتن ديل يقلل من هذا الذى يبالغ رب الدار فى تقديره حتى إذا انسحب جون ستوك وتركهما معاً إذا (اليوت) يتحدث فى صميم الموضوع ويعرب عن عدم تصديقه لهذه القصة التى طلع بها صهره جون ستوك عن وجود (ريتشارد اندروز جراى) على قيد الحياة والتى عززها مارتن ديل واضطلع بتحقيقها ودراستها دون ان يكون لديه دليل مادى .

فقال مارتن ديل :

— اما انا فمعتقد من القرائن التى انتهيت اليها ومما درسته من اطوار ابن عمك الشاذ فى حياته الماضية انه اهل لأن يفعل هذا، وإذا اصررت على ارتيابك فى وجوده على قيد الحياة فانك بهذا تعرض نفسك لخطر جسيم .

ولم يتفق الرجلان . فلم يجد اليوت إلا ان يكرر شكره لمارتن ديل على ما اسدى إليه فى الميناء . وانسحب ديل إلى البهو حيث جلس جون ستوك وشقيقته فسألته سيلفيا على الأثر :

— كيف وجدت زوجى ؟ .

— إنى حاولت ان اصور له الخطر الذى يهدده، بيد انى عبثا حاولت ! .

ولم يشأ مارتن ديل ان يتابع الخوض فى هذا الحديث فاستأذن من سيلفيا وانصرف

## الفصل السادس

## جرائم رهيبة

استاء جون ستوك حين عاد إلى مسكنه فى منتصف الساعة الواحدة صباحا



فلم يجد وصيفه تامبر مستيقظاً لإستقباله، وشم رائحة السجائر الفاخرة التى يدخنها وقد ملأت جو المكان .

وزاد جون ستوك استياء حين تقدم، فاذا هو يرى المصباح المجاور للراديو مضاء . وإذا هو يبصر تامبر ذاته غارقا فى مقعدة الوثير ممدد الساقين وكأنه رب البيت، وإذا الخوان القريب منه تعلوه أعقاب السجائر وكؤوس الشراب !

وتقدم ستوك قليلا، فاذا تامبر فى مجلسه، وقد غطى وجهه الكبير بمنديل قرمزى حريرى لعله أراد أن يحجب به ضوء المصباح عن عينيه ! !

كانت وقاحة مابعدها وقاحة، وكذلك انحنى ستوك ساخطاً وانتزع المنديل من فوق وجه النائم !

فياهول مارآى !! ويالفظاعة والبشاعة !

لم ير ستوك أمامه وجها بالمعنى الذى توجيه هذه الكلمة فان تامبر كان الآن بلا وجه، ومابقى فى مكان الوجه كان كتلة مشوهة مختلطة من اللحم والعظم والدم المتجمد .

« ٠ »

ذعر ستوك حقاً حتى لم يتمالك أن هتف مرتاعا مشدوها، وشعر بقواه تخور وساقيه تتخاذلان من تحته ولم يدر مايفعل .

حتى إذا ثاب إلى وعيه قليلا أعاد المنديل إلى وجه الخادم المنكود وانثنى إلى التليفون لإبلاغ البوليس نبأ هذه الجريمة الوحشية التى لم يدر لها باعثا ولا تفسيرا .

فلم يكد يتقدم خطوة حتى رأى رجلا يشهر فى وجهه مسدسا ويقول له آمرا : اجلس يا جون !

فتهاوى ستوك فى مقعد مضعضعا، فقال الرجل ممتدحا :

— يعجبنى تجلدك، فقد خفت ان تصرخ .

فقال ستوك : لست أدرى علام قتلت هذا الرجل المسكين التعس ؟!

— لا تتعجل ، قد تحب ان تعرف الخطة البارعة التى اعددتها فى ذهنى فلعله يدور فى خلدك ان تموت شهيدا فتترك خلفك ذكرى عاطرة ! . لكنى سأخيب ظنك ، فان هؤلاء الذين يحسنون الظن بك سينفرون اشد النفور حين يقفون على ظروف موتك فتندفن بوصفك قاتلا ، ومنتحرا ! إذ سيكتشف البوليس انك قتلت «اوجست تامبر» المنكوب بوحشية لامثيل لها ثم انتحرت برصاص مسدسك . الزم مكانك ياجون ولا تتحرك ! . ان بصمات اصابعك ستكون فوق المسدس،وفى كل مكان ، فى كؤوس شراب ، وفوق الاثاث وفوق الأداة التى قتل بها تامبر ، وفوق جثة تامبر .

— يالك من وحش لئيم !

فاه ستوك بهذه الجملة وهو يعالج النهوض ، بيد ان لطمة من قبضة ريتشارد ردته مترنحا فى مكانه ، وكان يعلم انه لم يبق له امل فى النجاة ، وان الموت لشىء مخيف حقا ، لكن ميتة كهذه التى اعدها ريتشارد له لهى اخبث الخبائث واقسى مايمنى به إنسان حيا وميتا .

وهتف ريتشارد : ما اغباك واضيع أملك ! انك على حظ من الشجاعة اكثر مما كنت اقدر فيك ، لكنها لن تجديك فتيلا ، لقد كنت طوال حياتك عدوى وغريمى ، وانت الآن تعرف الأسلوب الذى اتخذته لتسكرى ، فمن الانتحار ان ادعك على قيد الحياة !

ومال بحركة سريعة فوق ( الراديو ) واذا صوت موسيقى راقصة يتجاوب فى ارجاء الغرفة ، فلم يخف السبب عن ذهن ستوك ، اذ ايقن انه يمكن القضاء عليه برصاصه فى غمرة هذا الضجيج دون ان يفطن احد الى صوت المقذوف او يفرقه عن صوت الدائرة .

ودنا ريتشارد من ضحيته وسدد اليه المسدس قائلا : ينبغى ان يحتاط الانسان للخبراء الذين سيفحصون جثتك ، اعنى فيما يختص بالحروق الناشئة عن احتراق البارود ، وما اليها .



فأغمض جون ستوك عينيه وان لم يختلج ولم يتزايل ، وان هى الا هنية حتى نظر ريتشارد الى هذه الضحية الجديدة التى استقرت عند قدمى تامبر ، فاذا هو قد تخلص من غريمة المحامى الشيخ وأنفذ فيه وعيده .

ثم انحنى ريتشارد فوق الجثة واخذ يفتش جيوبها ويجردها مما بها من مال ، حتى اذ تم له ذلك راح ينقل بصمات الأصابع التى لم تفارقها الحرارة بعد إلى سائر الأدوات والاشياء التى ينبغى ان تلامسها ، وكان فى عمله متأنيا مدققا حريصا لايخشى العجلة وهو يعلم ان امامه متسعا كبيرا من الوقت .

وغسل يديه آخر الأمر وصب لنفسه كأسا من الشراب وجلس فى المقعد وداعا ناعم البال يستمع إلى ( الراديو ) . فلما انتهى البرنامج . نهض من مكانه والقى نظرة فاحصة طويلة على كل ماحوله ، فكان كل شىء باعثا على الاطمئنان .

وتذكر ان تامبر اخبره ان خدمة المصعد تنتهى فى الساعة الواحدة صباحا .

فألقى نظرة على ساعته ، فاذا هى قد جاوزت الثانية .

ولم يتمالك ان ابتسم حين تخيل سلفا هذه العناوين الرنانة الطنانة التى ستصدر بها صحف الصباح! .

## الفصل السابع

### الغريب

هبط مارتن ديل من غرفته التى يحتلها فى دار تومى نيكولز ، فاذا هذا الرجل يشرب كعادته ، وقد طالعه بقصة مؤثرة مؤداها ان الاعمى بيل قد اختلف مع مدام داليس التى يقيم فى دارهـا لأمر من الامور ، فغضبت منه وطاردته بين الغابات تبغى تأديبه ، لولا انه استطاع الافلات منها . بيد ان المسكين ضل طريقه وظل طول الليل نائما على وجهه حتى كانت الساعة السادسة صباحا ، اذ صادفه بعض العمال قرب ( ريفورود ) فجاءوا به الى دار تومى نيكولز .

فقال له مارتن ديل : ياله من مسكين !. يجب ان تخلصه من شر هذه المرأة
اين هو الآن ؟!

— فوق . . وقد جاء حين كنت تغسل سيارتك قبل ذهابك إلى مكتب البريد .

فهتف مارتن ديل وقد عبس قليلا : فوق ! إنى لم اسمع صوته !

فقال تومى نيكولز متضايقا : وماهى الغرابة فى وجوده ببيتى !. هل تخفى امرأة فى غرفتك ! ام تخاف ان يسطو على كنوزك !

لم يجب مارتن ديل ، فقد استاء حين علم ان الغرف العليا المجاورة لغرفته يمكن ان يطرقها الطارقون بغير علمه ، فان ماابيح للأعمى بيل من النزول فى احداها قد يباح لغيره من اصحاب تومى نيكولز المبصرين ، وقد يكون فيهم من يدس انفه فى غرفة ديل وينفذ إلى سره .

وسمع ديل فوقه صوتا كمن يهبط من السرير إلى الأرض ، فقال تومى :

— هذا بيل . وقد نال قسطا من النوم .

وان هى الا دقائق حتى هبط بيل السلم فى حذر وهو يقول : انى سمعت صوت فيكتور يتكلم .

فقال له مارتن ديل : انى عدت الآن من الخارج . وقد اخبرنى تومى بما كان بينك وبين مدام داليس من خصام فى الليلة الماضية . ولاشك انك حرفى ترك دارها ان لم تكن مدينا لها بشىء ، وستجد منى ومن تومى كل مساعدة.

فقال بيل : لاارىد زيادة الجفاء بينى وبينها . وليس هذا الحادث بالأول من نوعه . ولاشك انها ستعتذر الى متى عدت اليها وتسترضينى بطعام شهى . . لكننى متعب من طول السير فى ليلتى الماضية ، واكون شاكراً إذا اوصلتنى الى باب المزرعة فى سيارتك .

ولما استقر بيل فى سيارة مارتن ديل قال له فى صوت يمازجه الانفعال :

— إنى أردت فى الحقيقة أن أتحدث إليك بعيدا عن تومى ، فهو لا يبقى على سر ،



والواقع انى لم أبح له بكل شىء ، فانى مهدد بخطر عظيم ، وإنى أخشى العدوان على حياتى . .

فقال مارتن ديل : إخبرنى بكل ماعندك يابيل . . وإنى لأعجب من امرك كيف ابيت العمل بنصحى وترك مقامك فى بيت داليس . .

— إنى اخاف ان اتركهم . . فان تيم داليس يظن انى اعرف اشياء كثيرة

— وماذا تعرف مما يمكن ان يخاف آل داليس افتضاحه ؟

— إن الناس يتساءلون من اين يعيش آل داليس . . وقد عرفت انا بعض السر . . ماهى معلوماتك يافكتور عن تخطيط المزرعة ؟

— لا اعرف عنها الا ما اخبرتنى به . . اعنى انها مزرعة مستطيلة ذات دار كبيرة ومخزن للحبوب يبعد عنها نحو مائتى متر . وفى الطابق الثانى من مخزن الحبوب اقام الأخوان داليس مكانا يأوون اليه فى ايام العطلات. — من اين لهم المال الذى مكنهم من شراء سيارة جديدة وملابس فخمة كالتى يلبسونها ؟

— لست بوليسا سريا ، وكيف لى ان اعلم هذا !

— اما انا فاعلم وان كنت لست بوليسا سريا ! اتعرف يافيكتور ان فى المزرعة دارين لا دارا واحدة ، غير مخزن الحبوب ؟ كان مارتن ديل يعلم بوجود الدار المنعزلة القائمة بين اشجار الصنوبر ، ولكنه تجاهل معرفته بها قائلا:

— وماحاجتهم الى دارين ؟ يمكننى اذن أن أستأجر احداها حينما يجىء سكان منزل تومى .

— لا أمل لك فى هذا حتى لو دفعت مالا كثيرا . . ان هذه الدار تدر ثروة كبيرة لآل داليس ! اسمع يافيكتور ، انهم يمكنون المجرمين من الاختفاء هناك . . لقد التقيت بأحدهم فى الليلة الماضية . .

فقال مارتن ديل وقد كتم عن الأعمى انفعاله لدى سماع هذا النبأ :

— ربما كان ( شاموسى كالاهان ) هو الذى يقيم هناك . .

— ان شاموسى ينزل عند أسرة ( برانيجان ) وتتنافس بناتهم عليه . . .

أما هذا الرجل فقد بدا لى من حديثه أنه من أهل الطبقة الراقية ، لأنه خاطبنى

من طرف أنفه حين التقيت به بين الغابات فى اثناء فرارى من مدام داليس متطفلا على المكان ولما قلت له أنه هو المتطفل ضحك منى ساخرا وقال انه من علماء الطبيعة وانه جاء الى هذا المكان لدراسة أحوال الطيور الليلية ... لكنى ت واثقا من انه يكذب . . وقد شعرت بخوف شديد منه ، وحدثتنى النفس بأنه رجل شرير .

— وكيف علمت انه يعيش فى الدار المنعزلة !

— انى اصطدمت فى الطريق غير بعيد عنها بمجموعة من علب المأكولات المحفوظة الفارغة ، وقد شممتها فلم أجدها صدئة ولا قديمة ، بل وجدتها حديثة . . وانى أقرر لك واثقا يافيكتور أن ذلك الرجل يقيم فى تلك الدار ، وانه صاحب العلب الفارغة ... رماها بعد ان اكل ما فيها ... بل انى كنت واثقا من قبل ان هذه الدار تخفى سرا .

— وما الذى كان يحملك على هذا الشعور ! .

— حينما جئت للاقامة فى هذه البلدة كنت اطوف بالأماكن المجاورة واضع علامات خاصة اهتدى بها ، فنبهتنى مدام داليس ألا اتجه الى ناحية المنطقة الصخرية حتى لا اقع من فوقها واهلك ، فلما قلت انى سأجرب حظى قالت ان هذه المنطقة يسكنها عفريت رجل قتل زوجته واولاده وان كل من يصادف العفريت يموت فى خلال العام . . فقلت لها انى اعمى والعميان لا يرون انسا ولا جنا ، فأخبرت ولدها تيم بذلك فقال انى اذا لم اطع فلأنصرف عنهم واترك الدار . . والواقع انى خفت حتى لم املك الا ان اعد بالامتثال والابتعاد عن هذا المكان والآن لعلك عرفت سبب حرصهم على ابعادى عنه !

كان عجبا ان يهتدى هذا الأعمى الساذج الى ما قد يصح ان يكون مخبأ ( ريتشارد اندروز جراى ) . والحق ان مارتن ديل لم يجد مكانا اصلح من هذا المكان الفريد يستطيع ريتشارد ان يقوم منه بجولاته الليلية فى غابات فالكون ففى الغابات طرق ومسالك كثيرة يعرفها ريتشارد منذ صغره فيتسلل منها الى القصر بين الأشجار والأدغال .. واذا صحت هذه البيانات فمعناها ان آل داليس



يخفون ريتشارد عندهم فى الدار المنعزلة نظير اجر سخى جزيل ، وانهم يتفرون طبعا من كل ما من شأنه تعريض ضيفهم للانظار .

— وما الذى حدث حتى ضللت طريقك فى الغابات !

— الواقع انى شعرت بخوف شديد من هذا الرجل فابتعدت عنه مسرعا ورأيتنى اسير فى طريق منحدر ، لكنى لم استطع العودة لأنى كنت اشعر ان الرجل واقف يرقبنى ، بل كنت اترقب بين لحظة واخرى أن تصيبنى منه رصاصة فى ظهرى .

— فهمت . وبعد ذلك عثر عليك بعض العمال وجاءوا بك إلى دار تومى .

ولم يجد مارتن ديل مبرزا لابداء اهتمامه بقصة الأعمى ، فقد عول على ان يستقصى هذه المسألة بنفسه بغير علم بيل حتى لا يفتضح مسعاه .

بيد ان بيل بادره قائلا وكأنما فطن إلى ما يجيش فى نفسه :

— لقد خطر لى رأى يا فيكتور ، فأنت رجل قوى اعتدت ارتياد المجاهل ، فلم لا تذهب إلى الغابة هذه الليلة للاستطلاع ومعرفة الحقيقة ؟ . ربما كانت هناك مكافأة لمن يرشد إلى الغريب المختفى ، ولنا اذن ان نتقاسمها ونذهب معا إلى موطنك حيث الصحارى ومراعى الأبقار . انا على استعداد لمقابلتك وارشادك إلى معالم الطريق .

— ان ذلك غير ممكن هذه الليلة . فأنا ذاهب لزيارة ( الأوكتاجون ) مع تومى .

فقال بيل : انه مكان غير مأمون ، ففيه تكثر المعارك والاشتباكات ورواده لا يحبون الأجانب ، وانى انصح لك بعدم الذهاب إليه .

لكن مارتن ديل لم يكن بالذى يثنيه مثل هذا الكلام عن عزمه . فقد صح منه العزم على ارتياد ( الأوكتاجون ) لعله يهتدى فيه إلى شخص ( ريتشارد ) متنكراً فى زى من الأزياء ، وكذلك ترك بيل يعود إلى المزرعة وحده بعد أن أقله إلى حدودها وبعد أن وعده أن يضعا معاً خطة مشتركة للوقوف على سر الغريب المختفى بين أشجار الصنوبر .

# الفصل الثامن

## الأوكتاجون

( الأوكتاجون ) هو بناء مثمن الأضلاع اتخذه حلاق ( ادجفيل ) مقراً له وجعل منه أصحاب البلدة منتدى لهم، إليه يختلفون، وفيه يسمرون ، وقد صفت حول جدرانه مقاعد مستطيلة من البلوط ، وأعد صنف منها ذو مساند لوجوه البلدة وأكابرها ، هيء لهم خاصة فلا يجلس فيه غيرهم من سواد الناس .

وكان ( الأوكتاجون ) فى مساء السبت حافلا بجلاسه كالعادة ، فلم يهتم أحد منهم بتومى نيكولز وصاحبه مارتن ديل حين دلفا إليه ، وكانت الأسماع متجهة بصفة خاصة إلى ( شاموس كالاهان ) الفوضوى وهو يقص عليهم أحاديث الحرائق التى كان يضرمها فى قصور الأغنياء والأشراف فتشردهم وتشتت شملهم فى طرفة عين ، وهم يقابلونه بعبارات الاعجاب والاستحسان .

وقال تومى نيكولز وهو يتجه مع صاحبه إلى مقعدين خاليين :

— مساء الخير يا أولاد !.. يا لها من ليلة بديعة يحلو فيها الحديث وتكثر الأوهام والتخيلات ! .

فقال ( شاموس ) غاضبا وقد تورد وجهه لما رأى من تعريض تومى به :

— انت سكران كالعادة ! .

فقال تومى : سكران بالويسكى لا بالأوهام !. كفى يا شاموس مبالغة . وحتى لو كنت صادقا فأنى لا اميل إلى هذا الكلام ولا احبذه .

فقال شاموس ساخطا وهو يتقدم فى حركات مسرحية إلى حيث جلس تومى : اترمينى بالكذب ؟.

فأجاب تومى فى مرح : نعم . وإذا لم يعجبك هذا فامامك الجدار ! .. اسمع يا شاموس !.. اعرفك بفيكتور انتونى الكاتب الأديب، وانت يافيكتور، أقدم إليك ( ابولو كالاهان ) ، آله النار والحريق ، الذى اغتنى هنا بعد فقر، وعز بعد ذل ! .



فتدخل تيم داليس قائلا ، وكان بدينا مورد الوجه انيق الثياب : كفى يا تومى تحديا ! .

بيد ان تومى كان منشرح الخاطر هذه الليلة ، وكان يرجو ان تنشب معركة او اثنتان حتى يتسلى ويطرب ، بعكس مارتن ديل الذى سخط فى نفسه من استخفاف صاحبه وتمنى لو انه استمع لنصح بيل ولم يجيء إلى حيث يوشك ان يتورط فى مشاكل هو فى غنى عنها .

وقال تومى ساخرا ، رداً على كلام تيم :

— ان الرئيس داليس يتكلم !. وهو مواطن فخم انيق يرتدى الآن الملابس النظيفة المكوية ويتحلى بخواتم الماس للتأثير فى نفوس البنات !.. اسمع تيم !.. انى كنت صحفيا اراسل عشرات الصحف حين كنت انت صبيا فقيرا مسكينا فى ملعب ( سوانسون ) !.. فماذا جرى حتى تأمرنى بالسكوت وعدم الكلام ؟ ..

فقال اخوه ( الوسيوس داليس ) وهو فتى طويل نحيل :

— هو سكران ، فدعه فى اوهامه واحلامه .

فلم يتكلم تيم داليس ، ولكنه بدا محتقن الوجه غضبا حتى ايقن مارتن ديل انه يكون مخلوقا شديد الخطر إذا اثير واغضب .

وفى هذه اللحظة رأى مارتن ديل الأعمى بيل يدخل ( الأوكتاجون ) حيث جيء به للجلوس إلى جانب صديقه ، فقال بيل : ما لكم لا تتكلمون ؟.. هل جد شيء ضايقكم ! .

فأجاب مارتن ديل : الدنيا بخير .

بيد انه لم يكن مطمئنا ، فقد رأى تيم داليس وشاموس ورانيجان تاجر الخردوات يتبادلون الحديث فيما بينهم وهم ينظرون إليه بين حين وآخر ، فتوقع حدوث مكروه ؟ وايقن ان الجميع سيكونون ضده ، وهو غريب عنهم ، فيما عدا صديقيه .

والواقع ان (شاموس كالاهان) ما لبث ان تقدم تحوم فى زهو وخيلاء ،

وقال مخاطبا تومى نيكولز : انى اراك تستهزىء بى دائما ايها السكير القذر . فهل تخرج من هنا ، او تحب ان القيك فى الخارج بيدى .

فابتسم تومى سروراً وقد ايقن بقرب وقوع المعركة التى لن يصيبه رشاشها كالعادة واجاب قائلا :

— كلم وكيلى ومدربى ! . ان فيكتور يتكفل بالمغرورين الذين يضايقوننى ! .

فقال شاموسى فى سخط ، موجها حديثه إلى مارتن ديل :

— إذهب به .. ولا يجىء احد منكما بعد الآن إلى هنا .

فقال مارتن ديل ناصحا : لاتتكدر ، ان تومى كان يمزح ،ولا يقصد شيئا

فقال شاموسى نحوه قائلا : يالك من جبان ، صديق سكير !.

فلم يجد مارتن ديل مفرا من تأديب هذا الفتى المغرور ، وسرعان ما استوى قائما ولطمه فى فكه لطمة قوية عنيفة ترنح شاموسى على اثرها متطاوحا ، ثم عاجله بضربة اخرى تحت ذقنه ألقته على الأرض .

هنالك تعالى صياح الغضب من كافة الأفواه . ونهض شاموسى من سقطته متمايلا وقد ايقن انه ازاء عدو قوى الشكيمة شديد المراس، وراح تيم والوسيوسى داليس يحفزانه ويغريانه باستئناف الهجوم فقال لهما :

— لن اصارعه هنا ، بل فى الحلقة تحت انظار مئات المتفرجين لكى يروا ما افعل به ! .

فصاح تومى نيكولز قائلا : جبان والله ! . جبان مخلوع القلب . . !. انه مثل خائف مذعور !! انظروا إليه !! كل ما يقوى عليه هو إضرام الحرائق فى بيوت الشيوخ والعجائز ثم يركن إلى الفرار كالأرانب !!

وقال مارتن ديل مخاطبا شاموسى : بل تعال نسو حسابنا فى الحال ! . .

على انه جد فى هذه اللحظة ، لحسن حظ شاموسى ، حادث وقاه شر هزيمة جديدة ، وصرف الأذهان عن هذه المعركة الطريفة .

فقد اندفع ( سوانسون ) صاحب ملعب ( الكريكيت ) إلى المكان لاهث الأنفاس ، وقال فى لهجة الانفعال : سمعا كلكم ! لقد اذيع الخبر فى الراديو !.



وا كتشف البوليس الجريمة توا ! .

خيم الصمت العميق فوق الرءوس ، واسترسل سوانسون فى قصته قائلا :

— تعرفون طبعا المحامى جون ستوك شقيق زوجة فالكون! ان هذا الشيخ الفاجر قتل خادمة المدعو اوجست تامبر ثم انتحر ، وقد حدث هذا فى الليلة الماضية او فى صباح اليوم الباكر ! . ولم يذهب احد إلى المسكن طول النهار ، فارتاب كاتب عنده فى الأمر وكسر باب المسكن ، فوجد المكان خليطا من الدم والفوضى ! فهتف تيم داليس حين سمع هذه القصة : انا لا اصدق هذا الكلام ، صحيح انى اكره هذا الشيخ الفاجر ، لكنه لا يفعل شيئا كهذا ! . وهناك التباس ما !

— بل هذا ما سمعته بأذنى من مذيع الراديو ! . وقد وجدت فى المكان اعقاب سجاير وبقايا ويسكى .

فقال بيل : من هو ستوك هذا ؟ .

فأجاب جاكسون استاذ الاقتصاديات السابق : هو من عصابة فالكون ، لصوص الأسواق المالية ، النصابين الدوليين ! . انا لا آسف على مصرعه ، لكن لم قتل خادمه؟

فأجاب آخر : لعله وجده عليما بخفاياه واسراره .

وقال سوانسون : ان بصماته وجدت فى كل مكان وعلى كل شىء . . انها جناية وحشية كما قال المذيع ، سأعدو للوقوف على مزيد من الأخبار .

وعاد الرجل من حيث أتى تاركا رواد ( الاوكتاجون ) يطلقون كعش الزنابير ويذهبون فى التعليل والتفسير كل مذهب ، وكان المفروض أن مارتن ديل فى دوره الزائف كمزارع من اقاليم رعاة البقر يجهل كل شىء عن ستوك وفالكون ومايتصل بهما . وكذلك اتيح له ان يستمع الآن إلى اهل البلدة وهم ينفثون حقدهم على افراد هذه الأسرة فى غير ضن ولا تحفظ .

ولم يكن يخالجه ادنى شك فى ان ريتشارد هو مرتكب هذه الجريمة

الذكراء ، فان جسون ستوك كما صرح تيم داليس ، ليس بالذى يفعل شيئاً كهذا ، ولا ريب انه قد جد فى الأمر ما حمل ريتشارد على ان يخل بالعهد الذى قطعه على نفسه وان يضحى بجون ستوك قبل اليوت فالكون .

وجىء إلى ( الأوكتاجون ) بجهاز ( راديو ) ، فأيد نبأ الجريمة المزدوجة وزيد عليه إن الأطباء قرروا ان جريمة القتل تمت قبل حادث الإنتحار بساعات وانه يظن ان تامبر قتل حوالى الساعة التاسعة مساء ، وان ستوك قد انتحر حوالى منتصف الليل ؟!

فلم يكد مارتن ديل يلم بهذه البيانات حتى أخذ يراجع نفسه فيما قدره من قبل من أن الغريب المقيم بين أشجار الصنوبر هو ريتشارد ، وحتى مال إلى نبذ هذا الإحتمال .

إذ كيف يتفق أن يتحدث ريتشارد إلى بيل فى الغابة حوالى الساعة العاشرة ليلا ، ثم يكون هو نفس الرجل الذى ارتكب الجريمة فى ( بارك افنيو ) فى نيويورك بين الساعة التاسعة ومنتصف الليل :

والواقع أن مارتن ديل لم يكد ينتهى إلى هذا الاستنتاج حتى ساوره لون من خيبة الرجاء ، فقد كان متشوقا متحمسا لارتياد مزرعة داليس واستطلاع دخائلها . فما لبثت هذه المهمة أن بدت له الآن تافهة لا قيمة لها ، إذ لا يعنيه من يكون لاجئاً إلى البيت المنعزل بين أشجار الصنوبر مادام شخصاً آخر غير ريتشارد وهو لم يجىء هنا إلا للبحث عن ريتشارد دون سواه .

ومضى المذيع فى التعقيب على الجناية المزدوجة وفى تحليل شخصية القاتل المنتحر ، ثم انتقل إلى الكلام عن ثروته وعن مصاهرته لبيت فالكون ، ذلك ورواد ( الأوكتاجون ) يعلقون على هذه الأحاديث بما شاء لهم الهوى وما يمليه حقدهم على أفراد البيتين جميعا ، على أن ( شاموسى كالاهان ) انتهز هذه الفرصة وعاد إلى ترديد نغماته السالفة قائلا : سترون يوماً قصرهم ( فالكونهرست ) وقد دمرته النيران ، وأصبح سكانه المترفون المنعمون مشردين ، وعلى وجوههم هائمين .

فانبرى له تومى نيكولز قائلا : أهذا عهد منك بأن تضرم النار فيه ؟



فعبس شاموسى إذ ألفى نفسه قد أمعن فى تهديداته ، بيد انه تورط ولم يجد من سبيل إلى التراجع ، واجاب قائلا : إن الله تعالى يرسل الصواعق فتدمر ما تأتى عليه . ألا ترى هذا الرأى ؟

فابتسم تومى متخابثا . وبادر مارتن ديل بالإنصراف مع صاحبيه حسما لاشتباك جديد .

وكان ينوى أن يقل بيل فى سيارته حتى حدود مزرعة داليس ثم يمضى إلى نيويورك للوقوف على رأى البوليس فى هذه الجناية المزدوجة ، بيد أن الفى احدى عجلات السيارة تالفة ولم يكن من سبيل لإصلاحها لتأخر الوقت ، فترك تومى نيكولز يعود إلى الدار وحده وتطوع لمرافقة بيل حتى المزرعة .

وعالج مارتن ديل أن يدير دفة الحديث بلباقة إلى الموضوع الذى يشغله ، فقال للأعمى :

— أمازلت تصر على أنك التقيت فى الغابات برجل تحدث اليك حديث الإنسان المثقف وقد خفت منه وانزعجت رغم انك لم تر وجهه ؟

فقال بيل : لعلك لا تعتقد أنى كذبت عليك ؟

— لا اعنى هذا حقاً . وإنما اقصد مسألة الوقت الذى يختلف تقديره عندى وعندك ، فنحن المبصرين نميز النهار من الليل لأن احدهما مضىء والآخر مظلم . أما أنت ففى ظلام دائم والوقت عندك متشابه وقد تخلط الليل بالنهار .

— انا لا افهم قصدك .

— اريد ان اسألك عما إذا كنت واثقاً انك التقيت بذلك الغريب وتحدثت اليه فيما بين الساعة العاشرة والحادية عشرة فى الليلة الماضية ، مساء الجمعة ؟ . الا يحتمل انك قابلته مساء الخميس . فكر فى هذا وشاور نفسك .

— لا حاجة بى إلى التفكير ، وانا اعلم اليقين أنى قابلته مساء الجمعة . ففى هذا اليوم كان طعامنا السمك واذكر ان مدام داليس قالت إن السمك سهل الهضم وانها لا تأكله إلا إذا شعرت بخواء فى معدتها .

لم يكن من سبيل إلى الشك بعد هذا الكلام .

ومن الجائز ان يكون الغريب الذى تحدث اليه بيل هو ريتشارد . فان صح هذا فان ريتشارد لم يرتكب هذه الجريمة المزدوجة ولم يحنث بما عاهد عليه نفسه من القضاء على ( اليوت فالكون ) اولا .

فأما إن كان ريتشارد هو مرتكب الجريمة فليس لهذا الغريب المختبىء بين اشجار الصنوبر قيمة فى حساب مارتن دبل وتحرياته .

ولم يلبث بيل ان انتهز الفرصة فقال له : مارأيك فى الذهاب إلى الغابة مساء الاثنين . ان الأخوين داليس سيقضيان عطلة الأحد (غداً) فى المزرعة فلا استطيع ان اصاحبك فى هذه الجولة الاستكشافية .

فارتاح مارتن دبل إلى هـذا الاقتراح الذى لقاه يتمشى مع خطته . فقد عول على ارتياد المزرعة وحده مساء الغد ( الأحد ) حتى إذا كان مساء الإثنين اصطحب بيل لإرشاده إلى موقع البيت المنعزل بين اشجار الصنوبر لكى يقف على الحقيقة فى امر هذا الغريب اللاجىء .

وقال له بيل حين ظفر بموافقته : قد لا تمكن من مقابلتك غداً . فان كان ذلك فعليك بانتظارى فى الساعة العاشرة من مساء الاثنين قرب باب حدائق المزرعة . ويحسن ان تجىء معك بمسدس احتياطا للطوارىء . .

وكذلك تم الاتفاق بينهما ، وعاد مارتن دبل وحده إلى مسكنه فى دارتومى نيكولز وقد ارتاح إلى قرب ساعة العمل والفصل فى امر هذه القضية المعقدة .

## الفصل التاسع

## سر الأخوين

استيقظ مارتن دبل فى صباح اليوم التالى مبكراً إذ كان امامه نهار حافل فلما تم له إصلاح سيارته قصد إلى مطار فى بلدة ( انجلوود ) المجاورة حيث يتاح للجمهور التحليق بالطائرة للنزهة فوق منطقة نهر ( هدسن ) وما جاورها نظير اجر معتدل ، فاستقل دبل الطائرة وارشد قائدها إلى التحليق به فوق بلدة (ادجفيل) كى يلقى نظرة من الجو على مزرعة داليس ويحدد قربها من (فالكونهرست)



وقد الفى المزرعة مستطيلة الشكل تناهز مساحتها ستين فدانا ، بيد انها لم تكن مهيأة للزراعة بعد ان عدل اصحابها الحاليون عن استغلالها لهذا الغرض وكانت ارضها خامدة لا تكسوها غير الحشائش وأشجار الغابات ، ورأى دبل مخزن الحبوب من الجو فى وضوح ، بيد انه لم يستطع ان يشاهد اثرا للمنزل المنعزل القائم بين اشجار الصنوبر . . وكان يحد المزرعة غربا طريق ممتد واضح المعالم . .

وعلى أثر هذه الرحلة الجوية ، قصد دبل بالسيارة إلى مستشفى ( سانت توماس ) حيث علم أن ( اليوت فالكون ) نقل اليه اخيرا بعد ان ساءت حالته فما كاد يجتمع بمدام فالكون حتى الفاها فى حالة يرثى لها بعد هذه النكبة التى حلت بها بمصرع شقيقها جون ستوك ، والواقع انها قالت له :

ـــ ما ابشع هذا حقا ، ان الصحف قد ضربت على نغمة مرذولة خبيثة . فهى تعتقد ، اجماعا، ان جون هو قاتل تامبر .. ولم نكد نسمع بالخبر فى الليلة الماضية حتى اتصلت بالمستشفى تليفونيا اطلب عربة الاسعاف ، فان حالة اليوت لم تكن تسمح بنقله فى سيارة عادية ، وكان فى حالة شديدة من الاضطراب والجزع . . واصارحك ان ولدنا ( لورانس ) هو الآن فى طريقه الينا قادما من كمبردج ، كما أن ( انجرام ) موجود معنا هنا فى المستشفى . انى أشعر شعورا قويا بأن ريتشارد قريب جدا منا وانه على اتم استعداد لتوجيه ضربته التالية ، ومع ذلك أرى ( اليوت ) راغبا عن ابلاغ البوليس ! . وعندى ان هذا هو عين الجنون ! .

فقال دبل : وهذا أحد الاسباب التى حملتنى على المجىء إلى هنا . سأخبرك بشىء . . ذلك انى لا اعتقد ان ريتشارد هو قاتل شقيقك .

ـــ لكنه توعده بالقتل ! .

ـــ صحيح . لكن شخصاً آخر سبقه إلى ذلك .. واعتقد ان ريتشارد مختبىء فى بيت صغير فى مزرعة داليس فى ( ادجفيل ) وانه كان فى هذا البيت فى الليلة الماضية وقت ارتكاب الجريمة .

وقص عليها ما علمه من بيل جاتلى فى هذا المقام . واستطرد قائلا :

— وعندى ان ربتشارد سينتظر حتى تعودوا إلى ( فالسكونهرست ) ، ولذلك ارجو ان تعملى على استبقاء زوجك هنا اطول مدة ممكنة أو على الأقل حتى يوم الثلاثاء . . فقد عزمت على استكشاف سر البيت المنعزل مع بيل مساء الاثنين .

— لكن ألا ينبغى استصدار أمر من البوليس قبل الاقدام على مثل هذا العمل ؟ .

— وكذلك نهىء لربتشارد أن يفطن إلى غرضنا عن طريق أحد اعوانه ؟!

فهتف قائلا : لا . لا ! . بل انه ليسرنى رمايته بالرصاص حالما تراه !.

— ما اظننى سأفعل شيئا كهذا . لكنى قد أتمكن من اعتقاله وحمله على الاعتراف .

ولم يجد مارتن ديل موجبا للبقاء أكثر من هذا القدر بعد ان الفى (اليوت فالسكون ) نائما . ولذلك ودع زوجته بعد ان أوصاها بمداومة السهر عليه والبقاء بالمستشفى حتى يوم الثلاثاء ، ثم عاد إلى ( ادجفيل ) حتى يتأهب لزيارة المزرعة وحيدا للوقوف على سر آل داليس ، وقد أعد لهذه المناسبة مصباحين كهربائيين صغيرين ، وقاطعة اسلاك ، ومطرقة دقيقة ، وموسى ، وبوصلة ، ومفتاحا يعالج كافة أنواع الاقفال ، ومنظارا مكبرا ، ومشابك معدنية .

وجلس مارتن ديل مع تومى نيكولز يسمران لدى الباب حتى المساء ، ثم استأذن فى القيام بجولة قبل النوم ، وغاب عنه فى الظلام .

« * »

سار ديل فى الطريق المجاور لمزرعة داليس حتى شارف المنزل المكون من طابقين ، فجعل ثغرة فى الأسلاك الشائكة القائمة من دونه . فانسل منها ثم أعادها إلى مكانها . ولبث فى موضعه حينا ساكتا . فلما اطمأن إلى انه بمأمن من الرقباء يمم شطر المنزل ، واشرف من بين الشجيرات المزهرة على



نافذة تكسوها ستارة شفافة رأى خلفها مدام داليس ، تلك المرأة التى سمع عن جبروتها وبأسها ، فاذا هى بدينة مفرطة البدانة ، ذات بشرة قاتمة اللون عينين نفاذتين وسحنة كانت رغم وسامة تقاطيعها تثير فى الناظر اليها قشعريرة .

وسمعها تتحدث بصوتها الداوى إلى شخص جالس فى مقعد تحت النافذة . عرف فيه الاعمى بيل . وكان الحديث تافها لا يهم ديل فى كثير ولا قليل ، وان لمس فيه التحفز والغطرسة من جانب ربة الدار ، والخنوع والاستخذاء من جانب الضيف الكفيف . ولذلك تسلل ديل فى حذر وسكون مبتعدا عن المنزل وولى وجهه شطر مخزن الحبوب للتقصى والاستطلاع .

وكان المبنى فى منطقة مكشوفة ليس بها إلا أشجار الصنوبر التى لا يجد المتلصص عاصما بين اغصانها وكان الطابق العلوى منه قد جدد بناؤه واعدت فيه أسباب الراحة ووسائل الحياة العصرية واليه كان يدعى اصدقاء آل داليس السياسيون من نيويورك فتولم لهم الولائم وتقام المآدب والحفلات ..

ولم يلبث مارتن ديل أن طاف بالمبنى حتى بلغ بالسلم الخارجى الذى يفضى إلى الطابق العلوى . فوقف برهة يجيل نظره فى ارجائه ، فرأى الضوء ينبعث من الناحيتين الأمامية والخلفية ، أما القسم الاوسط فكان فى ظلام دامس .

وفيما هو يفكر فى أسلم السبل للتسلل إلى المكان إذ نفذت إلى انفه رائحة غاز ( الايدروجين المكبرت ) ، مقترنة بغاز ( الكلور ) . فجعل يتساءل عن سر وجود هذه الغازات الكريهة الرائحة فى مكان اعد للولائم والحفلات . واستبعد ان يكون ( الوسيومى داليس ) قد اتخذ من المسامة بالكيمياء هواية وتسلية ، وقدر ان فى الامر سرا عول على استقصائه مهما تكلف من ثمن ذلك وان يكن الغرض الاساسى من مجيئه فى هذه الليلة وحيدا هو معرفة ما إذا كان الاخوان داليس يجتمعان فى خلال العطلة التى يقضيانها فى الدار . بالغريب المختبىء فى دارهما القاصية . الكائنة فى اقصى المزرعة .

وعلى حين غرة سمع وقع اقدام قريبة . فانكمش فى مكانه خلف جذع

شجرة الصنوبر التي اعتصم بها وقد خشي ان يكون احد قد فطن اليه . بيد ان القادم مر بالشجرة حتى جاوزها ووقف أسفل السلم . وان هي الا برهة حتى سمع صوت جرس كهربائي يرن في الطابق العلوي . فأدرك ان القادم ضغط على زر قرب السلم قد اخفى ولا ريب عن الناس . الا اخصاء آل داليس .

وما لبث ديل ان سمع صوت باب يفتح في اعلى السلم . وقائل عرف فيه داليس يقول :

— من القادم ؟

— هو انا ياتيم .

وكان ديل يتوقع ان يكون القادم شخصا لعله ( ريتشارد اندوز جراى ) . ولكن خاب ظنه . فقد عرف فيه ( شاموسى كالاهان ) مضرم الحرائق والنيران . ونزيل سجون ( دى فاليرا )

وقد بادره تيم داليس قائلا : اصعد ... إنك تأخرت .

فارتقى شاموسى درجات السلم على عجل ، وارتطم الباب من خلفه .

وكانت هي اللحظة التي ينتظرها مارتن ديل بفارغ الصبر ، فارتقى السلم من فوره وهو موقن أن تيم يقود زائره إلى غرفة الجلوس غير مرتاب في وجود متلصص أو متطفل . . وإذ رأى الباب مفتوحا لم يتردد في الدخول ، فألقى نفسه في ممشى تكسوه سجادة شرقية ، ولمح في الضوء المنبعث من الغرفة الكائنة في أقصى الممشى بابا غير موصد ، فانسل منه وأضاء مصباحه الكهربائي ، فاذا هو في غرفة نوم يعلو أثاثها الغبار وهي في أغلب الظنون مهجورة منذ عهد غير يسير ، وأكبر الظن أنها لن تستخدم في هذه الآونة .

وأرهف مارتن ديل سمعه من خلال الباب المنفرج ، فاذا الحديث يدور في صوت جلي مسموع وكان شاموسى يقول : لابأس . . هأنذا .

فقال له تيم في غير رقة ولاحفاوة : اجلس ياشاموسى .. بيننا كلام طويل إنني غير راض عنك .. بل أنا مستاء مما حدث في ( الأوكتاجون ) مساء أمس



فقال شاموسى في صوت أجش : آه . . ألم تر أن المدعى فيكتور غافلني وتسلل من خلفي ولطمني غدرا . . ؟ إنني سأقتله في المرة القادمة .

— إنه لم يلطمك غدرا ، وهو أقوى وأبرع منك . . والواقع أني جننت حين رأيتك تسقط ، وخصوصا لأنني كنت أفاخر بك وأجاهر بأنك من الأبطال ، لكنني سأعمل على ان أغسل هذا العار الذي لحق بأسرتي داليس وكالاهان ، وعما قريب سيذهب فيكتور أنتوني هذا وينسى الناس ما كان منه .

فقال شاموسى في صوت يشف عن الجزع : تعني أنني سأنازله مرة ثانية ؟

— لا .. بل سيزور ( الأوكتاجون ) في مساء السبت القادم عصبة من الفتيان يسوون الحساب مع فيكتور أنتوني هذا بحيث يكون من نزلاء المستشفيات وسنرتاح منه بعد ذلك . . فان في أطواره أشياء لاأطمئن إليها .. والحقيقة ان تومي نيكولز لاغبار عليه ولكن فيكتور هذا ليس بالمغفل الذي يحاول ان يكونه امامنا . . إنني لااميل إلى وجود الاجانب في ( ادجفيل ) ، وأني ادبر امر هذه البلدة بالأسلوب الذي اريده . فقال شاموسى : لاريب في ذلك وهذه حقيقة يعرفها كل إنسان . ومن دواعي فخري ان اكون ابن خالة زعيم البلدة .

فقال تيم وقد طرق الغرض الذي استدعى من اجله قريبه : إنني غير راض عنك ياشاموسى . . فان هذه الأحاديث الجوفاء التي تلوكها جهارا والتي تتوعد فيها باضرام النار في قصر ( فالكونهرست ) ستبلغ حتما اسماع البوليس ذات يوم ، وستنتهي بنفيك من امريكا واعادتك الى سجون ارلنده . ان آل فالكون اناس ذوو سلطة ونفوذ .

فقال شاموسى وقد تذكر ما يظفر به من اعجاب سامعيه واستحسانهم : لكن الناس يحبون هذا الكلام ياتيم .

— هم مغفلون مثلك .. اسمع .. كف عن هذه الأحاديث نهائيا .. واذا حدثك أحد فيها فقل انك كنت تمزح وانك لم تحرق في حياتك قصرا من قصور الأغنياء والأشراف .. انني ارتقي سلم المجد وأرفع ( الوسيوسى ) معي .. وسأرفعك معنا أيضا اذا أمسكت لسانك عن هذا الكلام الفارغ ولزمت العقل

والرصانة .. فاذا لم تفعل كان لى معك شان آخر .. ففكر فى الامر وشاور نفسك .. إن عندى عملا لفتى مثلك اذا صان لسانه .. وهو عمل من ورائه المال الكثير والغنى الموفور ، سيكون لك المال والنساء والسيارات .. لكن اذا فهت بكلمة واحد عن هذا لأحد فستبلغنى وحينئذ تفقد كل فرصة أمامك .. ولن يكون مقامك هنا بل ستقيم فى نيويورك .

فغمغم شاموسى فى جذل وحبور : مال ونساء وسيارات ! . . إن لك أن تقطع لسانى ياتيم اذا بدرت منى كلمة واحدة !

فقال تيم : هذه فكرة .. والآن عد من حيث جئت .

وسمع مارتن ديل وقع أقدام شاموسى وهو يجاوز باب الغرفة التى كمن فيها ويهبط درجات السلم مترنحا مبتهجا وفيما هو يتساءل عن ( الوسيوسى ) إذ سمع صوته يهتف فى لهجة تشف عن الفوز : وجدتها !. . إن هذه (التفاحة) الجديدة لا تزيد فى حجمها عن كرة (الجولف) ، وهى مأمونة بالنسبة الى غيرها!

(والتفاحة) فى عالم الاجرام هى القنبلة .. بيد انها ليست من قنابل الحرب وإنما هى من هذا النوع الذى يستخدمه الجناة وأصاغر الساسيين فى قذف دور خصومهم به. وظاهر من هذا أن الوسيوسى قد كرس مواهبه فى عالم الكيمياء لمثل هذه الأغراض الشائنة . وكذلك اهتدى مارتن ديل إلى تفسير رائحة الغازات الفاسدة التى نفذت الى أنفه .. ولا ريب أن الجناح الخلفى المضاد من المبنى هو للمعمل .

وقال تيم ردا على كلام أخيه : بديع ! .. أنت شاب مدهش! إن المستقبل مضمون بفضل قنابل الغازات الفاسدة .

وبهذه الجملة كشف تيم عن مصدر ثروة الأخوين داليس وعن سر هذه التجارب التى يقوم بها ( الوسيوسى ) فى مجال الغازات الكريهة الرائحة .

والواقع أن مارتن ديل كان يعلم تمام العلم أساليب استخدام هذا النوع من القنابل . . إذ يذهب تيم الأنيق المظهر الى الدور الكبيرة والبيوتات المعروفة المحال البارزة فيقابل مديريها معددا امتيازاتها مهنئا بكثرة رودها وعملائها ، وينتهى آخر الأمر بعرض خدماته الخاصة لحماية هذا كله وضمانه . . فاذا أبى المدير قبول هذه



الخدمات الاجبارية ، وهو ما يحدث غالبا دارت الايام فاذا المكان يفضح فجاة وفى أشد أوقات ازدحامه برواده ، بروائح هذه الغازات الفاسدة الكريهة التى تنشرها قنبلة ( الوسيوسى ) . . ويضطر المدير إما إلى الاستنجاد بالبوليس وهو مالا يجدنفعا وإما الى الاذعان وقبول الخدمات المعروضة عليه ، وأداء الاتاوات المترتبة عليها .

وقد اختص تيم بعرض خدماته على أصحاب أطباء عيادات الأسنان وصالونات التجميل ، وكان يقابل أول الأمر بالتمرد والرفض ، ولكن الاذعان والتسليم كانا هما النتيجه النهائية .

* * *

على أن مطامع تيم لم تقف عند هذا الحد . . إذ قال لأخيه : إنى أرمى الى عمليات تدر صفقات أعظم . . أريد ان نجرب اختراع قنبلة أكبر حجما من السيجارة التى كانت تستخدم فى اشعال الحرائق فى سفن البضاعة فى الحرب الماضية . فان الحرب قريبة ويجب أن نستعد لها . وأعنى بها حرب العمل والعمال فهناك فريق كبير من أصحاب العمل والرأسماليين يضطهدون عمالهم ، ومتى وجدوا آلات مصانعهم الدقيقه الغالية هدف التخريب كان عليهم ان يذعنوا ويسلموا . .

فقال ( الوسيوسى ) : لا بأس سأتكفل بصناعة القنابل ، لكنى لن أتولى وضعها حيث يراد .

— لا لزوم لهذا . . فأنت الصانع وأنا الوسيط . . وعلى شاموسى الباقى انه كان هنا وقد أخبرته بما ينتظر منه . . فان هذا الشاب فوضوى بفطرته .

وانسحب ( الوسيوسى ) على الأثر الى المعمل لاتمام تجاربه ، بينما أدار تيم ( الراديو ) وجلس يستمع الى الموسيقى راضيا قرير العين . .

فاكتفى مارتن ديل بهذا القدر وعاد أدراجه كما جاء يقظا محاذرا وقد عقد العزم على ابلاغ البوليس امر هذه العصابة الفوضويه حالما يفرغ من قضيته ويودع ( ادجفيل ) نهائيا . .

## الفصل العاشر

### فى عرين الأسد

جلس مارتن ديل فوق جذع شجرة ساقطة قرب باب حدائق مزرعة داليس ينتظر قدوم الأعمى بيل . وما لبث أن سمع صوت الباب الأمامى يقفل ، ثم جاءه بيل مهرولا لاهث الأنفاس ، فسأله ديل : ماذا جرى؟ هل من أحد يطاردك ؟

فأجاب بيل وهو يجلس بجانبه منفعلا مرتعداً : لم يطاردنى أحد .. وإنما حلمت حلماً ثقيلا . فقد أخذتنى سنة من النوم وأنا جالس بجانب النافذة بعد أن ذهبت مدام داليس إلى فراشها ، فرأيتها فى المنام تحاول قتلى وأنا لاأقوى على الابتعاد عنها والإفلات منها . ومن عجب أنى ألفيتنى فى المنام بصيراً واستطعت أن أنظر إلى وجهها ، فكان مخيفاً بشعاً مروعا حتى استيقظت من النوم صارخا . لعلك سمعت صرختى ؟

— لا . فانا هنا منذ خمس دقائق ، وبم كانت تحاول قتلك ؟ .

— بهذه واخرج بيل من جيبه هراوة ثقيلة قائلا : وقد جئت بها معى فربما نفعتنا فى هذه الليلة .

— لا لزوم لها . فقد جئت معى بمسدس أتومانيكى .

فرد بيل الهراوة إلى جيبه قائلا : إنها تعلقها فوق مسمار خلف الباب الأمامى فلن تفطن إلى غيابها . هيا بنا .

ومرا فى طريقهما بمخزن الحبوب ، حتى إذا جاوزاه راح بيل يتحسس أشجارا معينة وهو يحصى خطاه بين شجرة وأخرى ، ولعله جعل فى الأشجار علامات خاصة حتى يهتدى بها فى سيره ، وكان التقدم وانيا بطيئاً ، ولكن مارتن ديل لم يتمالك أن أعجب ببراعة هذا الأعمى ودقة إحساسه .

ووصلا أخيراً إلى حافة أرض صخرية منحدرة ، فقال بيل :

— هذا مبلغ علمى ، إن البيت المنعزل قائم فى نهاية طريق إلى اليمين ، ولك أن تسترشد فى سيرك بأكداس العلب الفارغة التى سقطت من قبل فوقها .



واردف قائلا وهو يتشبث بذراع ديل : لاتتركنى يافيكتور ! فانى لاأخاف لقاء ذلك الرجل مرة ثانية إذا علم أنى جئت لمطاردته !

فقال ديل : حسناً ، عليك أن تنتظر فى الظلام بينما أعالج الباب والنوافذ .

فقال بيل : انا فى ظلام دائم ، وسأنتظر حينما تشاء ، لكنى أحب قبل أن تذهب يافيكتور أن أقول لك شيئاً .

فلم يجد مارتن ديل إلا أن يلبى رغبة هذا الأعمى الساذج وهو مدين له بمغامرته هذه ، فقال بيل : مالى أراك منفعلا هكذا يافيكتور .

— اترانى كذلك ؟ لابأس . إن حب المغامرات يثير لهفتى .

— لكن لم الانفعال فى هذه المناسبة ؟ انى قد أكون مخطئاً فيما أخبرتك به ، ماالذى يحملك على ان تتسلح بمسدس وتعرض نفسك للخطر من أجلى ؟ . إننى غير مطمئن ، فلم لانعود أدراجنا ؟ .

فقال مارتن ديل وقد أزعجته هذه الفكرة : إنى شرعت فى هذه المهمة وسأتمها حتى النهاية .

— إن تومى على حق إذن ، فقد قال إنك لست مؤلفاً ولا من رعاة البقر .

— اقال تومى هذا؟ متى؟

— قاله مرات كثيرة ، وخصوصاً بعد ان هزمت شاووسى كالاهان . وهو يعتقد انك بوليس سرى .

— لكن لعلك لاتعتقد هذا .

فتنهد بيل واجاب فى لهجة تشف عن خيبة الرجاء : لا اعتقد ، واعلم انك من رعاة البقر ، فلم اجد اخبر منك بأحوال المراعى والخيل والصيد . والواقع انى طالما اشتهيت ان التقى بواحد من مشاهير رجال البوليس السرى وان اسدى له خدمة .

تأثر مارتن ديل بكلام هذا الأعمى الطيب القلب ، وقرر ان يجيب سؤاله . فقال له : طب نفساً يابيل ، فقد تحقق حلمك ، إنى بوليس سرى واعمل فى قضية خاصة وانت مساعدى ، ولا يهمك ان تعرف إسمى ، ولكن (فيكتور انتونى) هو إسم مستعار .

فضحك بيل ضحكة السعادة والجذل قائلا : ما انا الآن بخائف بعد هذا ، فانك تعرف ما انت بسبيله ، وماذا فعل الرجل الذى جئت تطارده .

— إن على اولا ان اهتدى إلى شخصيته .

فقال بيل فى صوت متهدج : اهى جريمة قتل .؟

— ربما ، وعلى كل حال فهى محاولة قتل ، وهناك تهم اخرى منها السرقة والهرب من السجن وما إلى هذا ، على انى احب ان انبهك إلى انه قد لايكون الرجل الذى نبحث عنه ، وفوق هذا فقد لايكون موجوداً هنا .

فقال بيل فى لهجة الفوز : بل هو موجود ، واعتقد انه يحصل على طعامه من عند مدام داليس وينقدها عن ذلك اجراً طيباً ، وقد سمعت مرة رجلا يتحدث اليها من الباب الخلفى ، ولما ذهبت مستطلعاً نهرتنى مدام داليس واغلقت الباب فى وجهى .

فعد مارتن ديل هـذه البيانات دليلا جديداً على أن آل داليس يخفون ريتشارد جراى ما فى ذلك شك ، ولم يشأ أن يضيع وقتاً آخر فى التحدث إلى بيل ، بل تابع سيره ، حتى بلغ سياجا من النباتات وجد فيه بابا صغيراً فأجلس بيل على جذع شجرة قريبة وانبرى لتفقد المكان ، فاذا عن كثب منه بيت صغير يكاد يحتجب عن العيان خلف مجموعة متلاصقة من اشجار الصنوبر ، وللبيت سلم أمام بابه واجهة ونافذتان مستطيلتان على جانبى مدخله ، فيمم ديل شطر الباب الخلفى وأنصت فلم يسمع صوتاً الى الداخل ، والفى الباب موصداً بالرتاج فلا تجدى المفاتيح فى معالجته ، ووجد النوافذ مغلقة من الداخل ولاضوء ينبعث منها .

وإذ عاد إلى بيل قال هذا همساً : اوجدت شيئاً ؟

— لا . ساعالج الباب الأمامى ، لكن لاتنتظر ان افلح فى فتحه .

فقال بيل : إنه اوصد كل شيء، وذهب إلى فراشه ، فان الوقت متأخر ، لكنى واثق انه موجود فى الداخل ، وماذا تفعل إن وجدت الباب موصدا ؟!

— سأعالج النوافذ . —وإن لم تتمكن من فتحها ؟!

— سنلتقى السلاح حينئذ ، فما كان لى ان اقتحم الدار عنوة لأنى اريد ان



التى نظرة على شخص قد يكون بريئاً من كل اثم ، إن كثيرا من الناس يحبون العزلة بين الغابات .

فقال بيل وقد لاحت عليه أمارات الخيبة : لكن ان وجدت إنه الرجل الذى تطلبه ، فهل يمكنك القبض عليه ؟ .

— نعم . وهو فى امكانك انت ايضا ، هو مجرم هارب ، ولنا ان نتقسم المكافأة .

وقد فكر ديل قليلا فوجد الدخول عن طريق الباب الامامى غير مأمون العاقبة ، إذا قد يكون فى درجات السلم المفضى اليه جرس منبه ، أو قد يكون الباب موصدا بالرتاج من الداخل فاذا عالج اقتحامه عنوة تعرض لرصاصة ترديه .

وكذلك استقر عزامه على محاولة الدخول عن طريق احدى النافذتين المستطيلتين ، وإذ الفاهما ترتفعان عن سطح الارض نحو سبعة اقدام خاطب بيل قائلا :

— ابق فى مكانك . فسأبحث عن برميل أوصندوق ارتفع به إلى النافذة .

بيد ان الفى الصناديق التى عثر عليهـا قديمة متآكلة فعاد إلى بيل محنيا . فوجده يكاد يرقص انفعالا ، وقال بيل : سمعته ! . سمعته وكان كأنما يحاول إيصاد الباب الأمامى بالرتاج ! .

فقال ديل همسا : بديع .. خطرت لى الآن فكرة . لكن لننتظر حتى ينام ثم نقوم بتنفيذها .

وأخلدا إلى الانتظار نحو نصف ساعة لم يسمعا فى خلالها ادنى صوت من الداخل ، فقال ديل :

— اليك فكرتى . انت رجل قوى بلا ريب ويمكنك ان تحملنى على عاتقك ريثما اعالج فتح النافذه وقد لبست حذاء من المطاط فلا خوف من ان اوذى كتفيك .

فقال بيل همساً : حسنا . انى قوى بلا ريب ، وكنت احمل فى الماضى حقيبة البريد التى تزن مائة رطل فلا اشكو من ثقلها . وفى طاقتى ان احملك كما تشاء .

والواقع ان بيل احتمله غير متذمر ولا متململ ، بيد ان ديل لم يكن خفيفا واحس ان بيل يترنح قليلا من تحته . ومهما يكن فانه راح يعالج النافذة بأدواته الدقيقة حتى وفق إلى فتحها .

على انه لم يكد يتأهب للوثوب إلى حافة النافذة حتى خانه بيل وسقط الاثنان ارضا . فاستاء ديل قليلا بيد انه كظم شعوره واذا هو قد سقط فوق شجرة ومنها الى ارض رطبة فقدر ان سقطته لم يسمع بها احد داخل الدار . ولم يعثر بيل عن كثب منه بيد انه رجا ان يكون بمأمن من الاذى .

واستوى ديل قائما واجال نظره حواليه هامسا : بيل ! . اين أنت ؟ .

وعلى حين غرة حدث مالم يكن فى الحسبان . فقد شعر بألم شديد فى رأسه وغاب عن صوابه على الأثر .

## الفصل الحادى عشر

### وجها لوجه

لم يدر مارتن ديل كم لبث غائبا عن صوابه . بيد انه قدر انه اغمى عليه طويلا . فانه حينما ثاب إلى رشده الفى نفسه جالسا فى مقعد مستطيل الظهر وقد شدت اليه ساقاه ويداه .

ولبث ديل برهة لا يستطيع ان يرى ماحوله فى وضوح ، على انه حمد الله ان سلم من هذه اللطمة التى سقطت من آلة معدنية على رأسه ، فلم تطمس تفكيره ولم تشل مخه ، وان اسالت دمه الذى نزف على وجهه ، وتركت فى رأسه ألما شديدا .

واذا كان ديل قد علم انه لم يصب بجرح بليغ ، فها هو ذا مشدود الوثاق إلى المقعد ، او بالاحرى مغلوب على امره مدحور فى خطة كان يعتقد انه قد اتخذ كل حيطة ممكنة ولم يفرط فى شىء ، وانها لنتيجة تثير الأسى حقا .

ولم يكن يداخله أدنى شك فى ان الآلة المعدنية التى أصيب بها فى رأسه هى هراوة مدام داليس . وان الذى لطمه بها هو خيف مدام داليس الاعمى .



فما كان بيل جاتلى الا مخادعا كبيرا ، وقد استطاع ببراعة مدهشة وخداع كثير وتزييف لمعالم الشخصية ان يفضى به إلى هذه السكارثة التى حلت به . .

وكذلك ثبت ان ريتشارد اندروز جراى كان كما وصفه جون ستوك حقا . كان صورة مجسدة للدهاء والجرأة والقدرة على الختل والمخادعة . وهكذا لم يبق لديه شك فى ان ( ريتشارد اندروز جراى ) هو قاتل جون ستوك فقد اخبر تومى نيكولز فى سياق أحاديثه الكثيرة معه ان بيل الأعمى غاب عنه يوما ، ولا ريب ان بيل ( أو ريتشارد ) قد استغل هذا اليوم لارتكاب جريمته المزدوجه وقتل المحامى وخادمه تامير .

ولم تكن هذه بالخدعة الاولى على حساب تومى نيكولز ، فإن بيل غاب عن ( ادجفيل ) اياما معدودة لتسوية ميراث له فى ولاية ( كنساس ) . . او هذا ما اوهم به تومى نيكولز وادخله فى روعه ، وما علمه مارتن ديل من تومى فى أحاديثه معه . اما الآن فقد ايقن ديل حين راجع نفسه والفى هذا الغياب متفقا فى تاريخه مع زيارة ( ريتشارد أندروز جراى ) لبحيرة ( ماين ) ومحادثته التليفونية مع جون ستوك — أيقن ان بيل كان مخادعا كبيراً حين اوهم الجميع بأنه ذاهب إلى ( كنساس ) وهو إنما ذاهب إلى بحيرة ( ماين ) .

وادرك مارتن ديل وقد سبق السيف العذل ان بيل جاتلى الزائف قد غرر به وسيره وفقا لأغراضه . ولا ريب أن هذه الخدعة الأخيرة التى انتهت باعتقاله هى آية الآيات فى فن البراعة والدهاء . وستكون نتيجتها الموت الزؤام حاق ذلك شك ولا مراء . ولم يتمالك مارتن ديل ان ارتعد حين تذكر مصير الوحش تامير .

* * *

وفيما كان ديل مستغرق فى التفكير دخل « ريتشارد اندروز جراى » إلى الغرفة . وجاس ذلك الشقى الذى كان متقمصا شخصية بيل جاتلى إلى أحد المقاعد فى مواجهة ديل وأشعل ثم قال :

— اراك لا تشاركنى طربى وتسليتى .. انك لاتتكلم .. لعلك صعقت ذهولا وعجبا ! ولم لا . وقد تعودت الانتصارات الرخيصة على اصحاب الذكاء المحدود حتى لتحار وتعجز حين تواجه شخصية من طرازى . الم يخامرك الشك مرة فى شخصيتى .

— مرة واحدة حين استيقظت هنا من اغمائى .. وكيف كان يمكن أن ارتاب فيك . إن اكثر الناس قرروا الى انك تبلغ خمسة اقدام وخمس بوصات طولا . اما بيل جانلى فلم يكن يزيد طوله عن خمسة اقدام وبوصتين .. وقد قاس نفسه امامى فى ( ادجفيل ) وكان فخورا بقامته وجعلنى اسجل قياسى ايضا .

— وكنت ستة أقدام وبوصة . وشدما جسدك بيل حينئذ . لكن مادمت ستلحق عاجلا بكل من سبقوك وتامبر ، فلا بأس أن اخبرك بما حرصت على اخفائه عن الناس جميعا ..

إن ( ريتشارد أندروز جراى ) لم يزد طوله عن خمسة اقدام وبوصتين ولكنه اخفى هذه الحقيقة عن الناس ، وقد تكلف صانع احذيتى باضافة ثلاث بوصات الى طولى ، فكنت ابدو وكأن طولى خمسة اقدام وخمس بوصات ، أما أنا فى شخصية بيل فكنت البس الحذاء المطاط وقد عانيت هذا امامك بتعب فى قدمى بعد حمل البريد سنوات طوالا ، وبهذا الاسلوب أفلحت فى أن أدفع عن نفسى كل شبهة وأن آمن تطفل المتطفلين من أمثالك ..

ولك أن تعجب كيف احتملت الحياة ثلاث سنوات فى ( ادجفيل ) فى اهاب بيل الاعمى دون أن أمل او اتضايق . ولكن هنا البراعة والمقدرة حقا ... ثم انى قد اجدت حبك هذا الموقف الاخير .. وشدما ابهجنى ان اسمع صوتك يردد هذه الجملة : « اسرع يابيل ، خطوتين أيضا فتكون بجانبى » ..

الا ترانى أجيد تقليد صوتك ؟

أما هذا الدم الذى لطخ وجهى فهو ليس دمى ، بل دمك ، وقد استعرته منك ، وأرجو الا يكون ملوثا فاسدا .

فقال مارتن ديل فى لهجة السخط :



— كفى هزلا .. ولنتكلم فى صميم الموضوع .. إن كنت تريدنى رهينة فما هى الفدية ؟

— لابد انك تخرف ياهربزى فيكتور إذ تقول مثل هذا الكلام ! .. انى لن آمن على نفسى قط ان تركتك تذهب .. وقد وجدتك خطراً على فلا مفر من موتك .

وأردف قائلا على الاثر وهو يبتسم خبثا : اراك تعابس ! .. لكنك معذور .. فان هذا الكلام اليم للنفس .. وسأعدل عنه لانك ضيق .. فلأحدثك اذن عن نفسى .. فانى كنت طيلة حياتى شخصية فذة متفوقة .. ولولا ان ( ادموند فالكون ) كان يغتصب اموالى وأنا تحت وصايته ويبخسنى حقوقى لكان لى الآن شأن غير هذا الشأن .. وقد سودوا صحيفتى ولطخوا سمعتى حتى صرت طريد العدالة .. ان الذين أساءوا الى وآذونى سيلقون جزاء ما صنعوا موتا محققا .. وقد لقى بعضهم مصيره المحتوم ... ومادمت قد تحالفت مع أعدائى ، فستموت مثلهم .

وما لبث ديل أن عطش عطشة قوية هزته فى مكانه ، فلم يدر اكان سببها جلوسه موليا ظهره الى النافذة ام كان السبب رائحة حملتها الريح الى انفه فقال له جراى متفكها :

— لعلها حمى الحصاد ؟

فقال ديل : ليس هذا اوانها .. لعلك لاتأبى طبعا ان تفك احدى يدى حتى اتناول منديلى ؟ .

— لايمكن هذا يافكتور .. فان حرصى على سلامتى اقوى عندى من دواعى المجاملة .. علام الابتسام ؟ . أأنت من الغباوة بحيث تتوهم ان ابتسامتك العذبة سوف ترقق قلبى من اجلك ؟ .

لم يجب مارتن ديل .. فقد ابتسم برغمه .. وما كان ابتسامه الالشىء تجلى له .. فان هذه العطسة القوية التى هزت كيانه قد خففت شدة الوثاق عنه ولاسيما حول قدميه ، حتى لقد استطاع أن يلمس بها الارض أخيرا .. فكان

ذلك باعثا له على التفكير وتقدير عدد العطسات اللازمة التى تؤدى الى تخفيف قيود معصمه .

وبدا له جراى ميالا الى الكلام . فرحب ديل بهذه الفرصة التى تكسبه فسحة من الوقت وتؤخر ساعة انقضاض عدوه عليه . . وكان جراى يقول له :

— كيف دعاك جون ستوك الى مساعدته ؟ . .

— لقد كنا من الجيران . . فلما اشتد خوفه منك استنجدنى . . والآن دورى فى السؤال . . كيف عرفتنى ؟ . .

— أصارحك أن الحظ حالفنى . . فان تامبر أخبرنى أن جون ستوك استشارك فى ورطته . . فلما سألته أن يصفك لى لبى رغبتى فخورا ، فقد كان المغفل معتدا بنفسه وكان يدرس فن البوليس السرى بالمراسلات ! . . ولما سمعت أوصافك تذكرت على الفور صديق راعى الابقار فيكتور انتونى ! . .

— هل آل داليس شركاؤك ؟ . أقصد هل أعاروك هذا البيت ؟ .

— طبعا لا . والواقع أن بيل ضللك فى هذا الشأن كل التضليل . وكان براعة منى حقا ان أوهمك ان مدام داليس تمدنى بالطعام .

— ولم ذهبت الى بحيرة ( ماين ) فى تلك الليلة ؟ . . مااظنك فعلت هذا بقصد تخويف ستوك فقط ! .

— بل فعلت هذا مدفوعا بالدافع الذى هو أس الشرور جميعا . . أعنى الحاجة الى المال . فقد كانت لى شخصية أخرى خارج بلدة (ادجفيل) . شخصية صاحب المزارع الغنى الذى ينفق عن سخاء ويبذخ فى نوادى نيويورك . وكنت حينئذ فى أمس الحاجة الى المال . . فلما سمعت أن (اديسون) صاحب محلة الصيد المجاورة لمحلة ستوك على بحيرة (ماين) ذاهب الى حفلة عرس انتهزت الفرصة لسد حاجتى من خزانته التى كنت أعلم أنها عامرة ، وكنت وحدى أعلم مكانها السرى .

— يالك من لص طيب يابيل ! .

— لم تكن هذه سرقة بالمعنى المفهوم . فقد طالما غشنى هذا الرجل فى الميسر



على عهدى علاقته فى الماضى ، كما انك سمعت من ستوك .

وفى هذه اللحظة عطس ديل عطسة قوية أخرى زادت من تخفيف قيوده فقال جراى : هى حمى الحصاد ولاشفاء منها ! . لكن لاتنزعج يافيكتور . . فما قريب ستزول عنك فى العالم الآخر ! .

فابتسم ديل مجاراة لغريمه وقد انحصر كل همه إذ ذاك فى كسب الوقت ، فقال : كيف امكنك ان تظهر فى شخصية بيل جانلى موزع البريد .

— احسب ان جون ستوك قص عليك كل مايتصل بافلاتى من السجن ، وكيف رأى جثتى تحرق وتذرى رمادا ، والواقع انى ما كدت افلت من السجن على هذا النحو الذى حير ابرع الأدمغة البوليسية حتى نشطت الجهات المختصة لطاردتى وتعقب آثارى . فكان على ألا استقر فى مكان واحد ، وكنت مضطرا الى التنكر فى كافة الأزياء المهينة لمثلى ، واحتمال شتى الوان الجوع والحرمان . . ولذلك رحت افتش عن شخص فى مثل سنى وبنيتى فاهتديت إلى بيل . وكنت ارجو حين عقدت العزم على ذلك ان تكون لى شخصية ساذجة ذات مال ، فلم يكن اكبر من هذا التوفيق حقاً حين ظفرت فى شخص بيل بانسان يماثلنى سناً وبنية وطولا ، وكان اعمى ولدية مال اجتمع له من التأمين على حياة زوجته المتوفاة . وهكذا صادقت بيل . ولما تقمصت شخصيته كان على ان اربى هذه اللحية التى كان يباهى بها ويفاخر ، وان احجب عينى خلف نظارات سوداء ، وان اقوس عاتقى حتى يكون لى طابع موزع البريد الذى احنى ظهره حمل الحقيبة عشرات السنين ، وان ارتدى مثلما كان يرتدى بيل . . اجل ياعزيزى فيكتور ! . شد ماقاسيت واحتملت فى سبيل هذا الفن الذى اعتز به ! .

— إن بيل قد لقى اشد من هذا ! .

— إن شئت الصراحة فانه كان مخلوقا تافها لاوزن له فى الحياة ولاقيمة .

كان هذا الكلام شديد الواقع فى نفس مارتن ديل . بيد انه ركز كل همه فى محاولة الافلات .

وكان من نتائج هـذه المطبات ( المتلاحقة ) التى تهز كيانه هزا ان استطاع ان يرسخ قدميه فوق أرض الغرفة ترسيخاً ، كما ادرك ديل انها اخذت تؤثر فى تماسك اجزاء المقعد العتيق الذى اجلس فيه .

وكان ديل واثقاً ان ريتشارد لن يتعجل القضاء عليه ولن يعمد إلى صرعه مثلا بمسدسه الأوتوماتيكى الذى استلبه منه والذى وضعه فى حجره ، كان ديل واثقا من هذا لما لمسه فى نفسيه هذا المجرم الكبير من رغبة جامحة فى التمثيل بضحاياه والتنكيل بفرائسه .

وفوق هذا فقد ألفاه مزهوا بقدرته ، شديد الاعتداد بنفسه . فكان عليه ان يمس منه هـذا الوتر الحساس حتى يتمادى فى غلوائه ويغفل عن كل حيطة وحذر ولعله يستطيع ان يحرر يدا ثم يتبعها إحدى قدميه ، ذلك وان لم تكن هذه بالمهمة السهلة اليسيرة ، واشد منها عسرا ومشقة ولاريب محاولة الافلات والنجاة ، وقد يكون فيها الموت الزؤام .

ومضى ريتشارد يتحدث عن نفسه فى شخص بيل ، فراح يقول :

— وقد وقع اختيارى على ( ادجفيل ) لقربها من ( فالكونهرست ) ومعرفتى منذ عهد الطفولة بكل شبر من أرضها وكل درب فى غاباتها . وهل كان ثمة أصلح من مزرعة داليس مستقرا ومقاما . والواقع انه قد تهيأت لى فيها حرية الذهاب والاياب دون ان يرتاب احد فى شىء . وكنت إذا جن الليل اتسلل من غرفة نومى الى سطح قريب ومنه الى الأرض وانا فى نجوة من عين مدام داليس التى كانت تنام كالثور ، هذه المرأة الأثيمة التى اشتريت نفسى كرهها على مر الأيام لما كانت تسىء إلى وتنغص عيشى .

— لكنك احتملت هذه الحياة ثلاث سنوات .

— انى ما كنت اتوقع ان انتظر اكثر من سنة واحدة ، فقد كان فى حكم المقرر ان يعتزل (البوت) العمل وان يخلد الى الراحة والعزلة فى (فالكونهرست) بيد انه مالبث ان قام برحلة الى اوربا لتصفية شؤونه المالية ، حتى اذا عاد منها انتدبه رئيس الولايات المتحدة فى بعثة الى جمهوريات أمريكا الجنوبية لاقناع



الناس بأن أثرياء الأمريكيين ليسوا كلهم مرابين مطلاقين ، وان منهم الرياضيين ومنهم الاجتماعيين ومنهم المثقفين .

فقال مارتن ديل : إن المسرح خسر فيك شخصية فذة ! .

— أصبت . لكن يكفينى أنى أصبت هذا النجاح الباهر فى التمثيل على مسرح الحياة فانظر إلى دورى معك أنت مثلا ، فانى حين رأيتك حسبتك واحدا من هؤلاء الصحفيين الذين يقيمون مع تومى نيكولز بعض السنة وانك تنوى البقاء فى الدار التى أتردد عليها . فأردت ألا يساورك الشك فى أمرى . وكذلك سقطت هامدا فوق حقيبتك التى تركتها باهمالك فى عرض الرصيف .

— إنك اصبت بجرح غير يسير حينئذ .

— هو مبالغة الفنان فى إعتناق فنه وتضحيته من أجله .. وقد علمتنى التجارب أنك لاشك متأثرا لحالى متى رأيت أن إهمالك كان سبباً فى إيذاء رجل اعمى ، وانك لن ترتاب بعد ذلك قط فى شخصيتى .

وتفرس فى وجه مارتن ديل مليا ، ثم اردف :

— وانى اراك مثلى على حظ من القدرة والبراعة فى هـذا المضمار . فقد اتقنت تنكرك وبرعت فى اداء دورك . فان هذا الفك المدلى ، وهذه النظرات المتبلدة الخامدة ، وهذه المشية التى لاتدل إلا على رجل بطىء التفكير والعمل ، وهذا الزى الرث العتيق ، وهاتين اليدين القذرتين — كل اولئك يشهد لك بسعة الحيلة وطول الباع فى مجال التمثيل والتقليد والمحاكاة .

— لقد تعين على ايضا ان اضحى فى سبيل فنى .

— لكن تضحياتك يا عزيزى فيكتور كانت يسيرة بالقياس إلى تضحياتى فتصور شعورى . انا الذى اعتدت اناقة الهندام وحسن الرواء حين تعين على ان اقتبس زى بيل واتقلده ! .

والواقع ان شخصيته ضايقتنى اشد المضايقة لحوائها وغباء صاحبها ، وكانت سحنته على الأخص مثار نفورى واشمئزازى . بل لعل هذا الشعور هو الذى اثار حماستى وجعلنى اقبل على إزالة هذه السحنة من الوجود بشغف ولذة . وكان على قبل كل شىء ان احلق تلك اللحية التى كان يزهو بها ويفاخر . ( وضحك جراى

عاليا ) . ولما جعلته تحت عجلات السيارة لم يكن افاق بعد من تأثير المخدر . وقد جعل يمر بيده التى وضعت فيها خاتمى المنقوش على وجهه الحليق ويقول فى جزع يخالطه الألم :

— اين ، اين ذهبت لحيتى ؟ أما انت يا عزيزى فيكتور فلك وجه وسيم لطيف ، وان كان يؤسفنى انى سأضطر بعد قليل إلى تشويهه بطريقتى الفذة التى عرفت بها ، فلا يبقى من معالمه مايعرفك به حتى اقرب الناس اليك ! .

وبهذه المناسبة ، كان يحرسنى فى السجن حارس بغيض مالبث سحنته ان أثارت شديد نفورى واشمئزازى . فكان هو اول ( زبائنى ) فى فن المسخ والتشويه ، مسخ الوجوه وتشويه السحن طبعا ! وسيكون دورك الخامس فى ترتيب ( الزبائن ) .

فقال مارتن ديل :

— تعنى ان بيل الحقيق كان ( الزبون ) الثانى ، وتامبر الثالث ، وستوك الرابع ؟

— نعم ، وستلحق بهم عما قريب . — مهلا ! أعرنى سمعك أولا .

رأى مارتن ديل أن ريتشارد مازال متمالكا أعصابه ، مسيطرا على حواسه لم يستسلم بعد لنوبات هذا الجنون الأعمى التى يفاجئه فيجعل منه وحشا ضاريا يقتل ويمسخ ويشوه .

ولو أن ديل استفزه وأهاجه لبادر باستخدام المسدس أو الهراوة .. لكن أيهما أولا ؟

فان كانت الهراوة ، ففرصة النجاة متاحة له ، والأمل قوى ممدود .. ولا ريب أن ( ريتشارد ) سيشهرها من فوره وينقض عليه يبغى قبل كل شىء أن يشوه هذا الوجه الذى أثار سخطه وذلك كل مايريد ديل ويشتهى .

قال مارتن ديل :

— مهلا ! اعرنى سمعك ! أراك تعد نفسك آية فى الدهاء والبراعة .. وانك فريد عصرك ووحيد زمانك ! لكنى لا اراك هكذا !



فقال ريتشارد فى صوت له هدوء العاصفة توشك ان تثور :

— لا ترانى هكذا ؟ وكيف ذلك ؟

— انظر مثلا إلى قصة افلاتك من السجن .. فربما حيرت اكبر الأدمغة واستعصى على الكثير فهمها .. اما انا فقد فهمتها فى سهولة تامة . فقد قرأت كل ما كتبته الصحف عنها .

فقال ريتشارد ساخطا :

— إنك تكذب وتبالغ .

— لا بأس .. فاستمع إلى اذن . فقد زعمت لهم فى السجن انك تريد تأليف كتاب معين ، فأجابوك إلى طلبك ومنحوك مراجع عديدة مؤلفة من ثلاثين مجلدا وكنت تدخن فى سجنك السجائر المصرية ، من النوع الذى تحتوى علبه على عشر سجائر ملفوفة فى ورق مفضض سميك .. وقد شهد سجانوك أنك كنت مترفا فى تدخينك ، لا تدخن أكثر من نصف السيجارة ، وكذلك استهلكت سجائر لا اعداد لها .. وكنت تلقى علب السجائر طبعا ، لكن ماذا فعلت بالورق المفضض ؟ لقد كنت تخفيه بين صحائف المجلدات حتى اجتمع لك منه شىء كثير ثم إذا كانت إحدى الليالى جمعت هذا الورق المفضض وضغطته على شكل كرة ثقيلة صلبة .. ثم وضعت هذه الكرة فى منشفة ، حتى إذا دخل عليك حارسك وهو غير مرتاب فى شىء لطمته بالكرة لطمة كانت القاضية .. هلا صححتنى إن كنت مخطئا ؟

— بل ذلك هو ماحدث .. لكن هذا شىء يمكن أن يستنتجه كل من أوتى بعض الذكاء .

فاه ريتشارد بهذا الكلام مكرها فى هدوء متكلف ، بيد أن لهجته شفت عن شديد استيائه وإمتعاضه ، وأردف قائلا وقد نمت نظراته عن الشر :

— لكن إذا كنت تعد نفسك أكثر منى دهاء وتفوقا وإنك تستطيع الافلات من قبضتى ، فانت من الواهمين المخدوعين .. إنك لم تعد مارتن ديل حلال المعضلات والقضايا ، بل أنت فقط رقم ( ٥ )

— وسيكون اليوت رقم ( ٦ ) ؟ .

— نعم .. وزوجته رقم ( ٧ ) .

— يالك من مغرور ! . ان نصيحتى لك ان تقلل من غلوائك ، وان تعرف قدر نفسك ! .

— ألمثلى يقال هذا الكلام ياوقح ! ؟

فاه ريتشارد بهذه الجملة صاخبا صائحا وقد انتفض قائما حتى سقط المسدس من حجره فلم يفطن إليه . بل شهر الهراوة مهددا متوعدا . فقال له مارتن ديل:

— مهلا . . أنا على وشك أن اعطس . . فإلى الوراء قليلا وإلا اصابك الرشاش ! .

فوقف ريتشارد فى مكانه مترددا .

واما مارتن ديل فقد عطس مترفقا متمهلا دون ان يدرى ريتشارد ان غريمه قد ثبت قدميه فى الأرض تثبيتا ورسخهما ترسيخا . وما لبث ديل ان ارتمى إلى الخلف بقوة وسرعة كبيرتين . ورأى ريتشارد بعد فوات الأوان ان صاحبه قد خدعه وغرر به واستغفله . فقد هوى مارتن ديل من النافذة وما زال مشدود الوثاق إلى المقعد الأبيض العتيق المتقادم . ولم يتمالك ريتشارد ان صرخ غاضبا محنقا وهرع إلى النافذة واطل منها . فرأى جسما ابيض اللون يتحرك . فعاد فى مثل خطف البرق إلى المقعد وتناول المسدس وارسل منه رصاصتين فى الظلام تحت النافذة .

ثم ركض من فوره إلى الباب الأمامى وجعل يهبط السلم وثبا .

الخاتمة

حينما هوى مارتن ديل خلفا من النافذة المفتوحة راح يدعو الله فى سره ألا يسقط على رأسه المرضوض الجريح . وبذل جهده لكى يستدير وهو يهوى فى الفضاء .. حتى إذا ارتطم بالأرض شعر بكتفه اليسرى تكاد تنخلع . واما المقعد العتيق المتقادم فقد تفككت اجزاؤه وتناثرت واندست شظية منه فى فخذه ، وان كان ديل لم يشعر بها وهو فى هذه الفترة . وسرعان ما خلص



قدميه من الوثاق ثم يديه . وما كاد يغدو حرا طليقا حتى سمع صوت ريتشارد وهو يهبط السلم كالقضاء الدائم .

وركض ريتشارد شطر مارتن ديل وان كان لا يراه ، بل وكزت عيناه فى حطام المقعد الأبيض ، واطلق ثلاث رصاصات متعاقبات وهو يقول : رأيتك ! .

وفيما هو مصوب مسدسه إلى المقعد إذ لطمه مارتن ديل بقبضة يده فوق المعصم لطمة شديدة عنيفة ركز فيها كل قواه حتى لقد اطار المسدس من يده .

فلما رأى ريتشارد غريمه يتقدم نحوه وادرك انه لم يصبه برصاصه فارقه غروره الجنونى واعتداده الكاذب وتملكه رعب بالغ وقد بات اعزل مجردا من كل سلاح ، وهناك ايقن ان الغنيمة فى الإفلات ، والسلامة فى الهرب ، وكذلك ولى وجهه شطر الدرب المنحدر المؤدى إلى طريق النهر .

وراح مارتن ديل يتبعه بطىء الخطى وقد شلت زراعه اليمنى ونزف الدم من جرح رأسه ووخزته الشظية فى فخذه وخزا أليما ، بيد انه لم يبال بهذا كله وانحصر همه الأكبر فى إدراك ريتشارد قبل ان يفلت منه ، وهكذا انشأ يغذ السير وهو يضغط على اسنانه ويغالب آلامه .

على أن ديل ما كاد يدنو من الطريق العمومى المرصوف حتى سمع صوت بوق يدوى عاليا رنانا مقترنا بصرير ( فرامل ) وحفيف عجلات ثقال .

فقد دهمت سيارة كبيرة رجلا كان يجتاز الطريق عند منعطف تظلله الأشجار ، وجذبته تحت عجلاتها مسافة غير يسيرة قبلما تمكن السائق من وقفها .

وسمع مارتن ديل صرخة مروعة أليمة داوية هى صرخة إنسان رأى الموت رأى العين ولكنه عجز عن مدافعته وتفاديه ولم يجد منه مهربا ولا عنه محيدا .

ولم يستطع ديل أن يتحقق أكان الضحية هو ريتشارد أم سواه ، ولئن كان الاحتمال الأول أدخل فى باب الرجحان .

ومهما يكن فإن عليه أن يتحرى الحقيقة بنفسه دون ان يتعرض للأنظار ، فقد كانت ملابسه ممزقة ووجهه داميا ملطخا ، ولو رآه احد رجال البوليس حتى يعتقله على الفور مرتابا فى امره متشككا .

والواقع أنه لم يكن يريد أن يزج به فى التحقيق وان يضطر إلى بيان كل ما عرفه من مجريات القضية ، بل كان يؤثر ان يفضى بما انتهى إليه إلى اليوت وسيلفيا وحدهما .

وأشرف مارتن ديل من خلف حجاب الأشجار على فريق من الناس تجمهر حول السيارة . فاذا ضابط من راكبي الموتوسيكلات قد خف إلى مكان الحادث وانحنى فوق المصاب يفحصه وقد خفتت أصوات النظارة وعلى الروع فى نبراتهم لهول ماشهدوا من آثار هذه الفاجعة .

وعرف مارتن ديل بين المتجمهرين وجه ( برانيجان ) تاجر الخردوات الذى مالبث ان دنا من الضابط وهو يدون بيانات الحادثة فى مفكرته بعد ان فرغ من فحص الجثة ، فسأله :

— من القتيل يامستر ديك ؟ . اهو من اهل البلدة ؟ .

فأجاب الضابط وكان لحداثة سنه متأثرا من بشاعة الحادث :

— اعتقد انه الرجل الأعمى الذى كان يقيم عند الأم ( داليس )

فقال برانيجان فى دهشة :

— تعتقد ؟ . ماذا تقصد بهذه الكلمة ؟ !

فأجاب الضابط وهو مسترسل فى تدوين بياناته :

— انظر بنفسك ! .

فانحنى برانيجان فوق القتيل ، وما كاد يلقى نظرة عليه حتى صرخ مرتاعا مشدوها ، وأسرع إلى جانب زوجته وهو يقول فى شدة الفزع :

— لم يبق له وجه يعرف !! . ان وجهه انطمس وذهب !!

« تمت »

دار النصر للطباعة